المحتوى الثقافي للكتب المترجمة إلى اللغة العربية في النظام الأسري بالمملكة العربية السعودية

دكتورة/ وفاء بنت محسن بن سعد التركي

ملخص البحث:

إنَّ الاختلاف في البشر، والتنوُّع بينهم في اللُّغات وغيرها؛ سُنَّة من سُنن الله -ﷻ- في خلْقه، وآية من آيات قُدرته -جلَّ جلاله-، يقول -ﷻ- في ذلك: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾} [سورة الروم:٢٢]، وفي آية أخرى بيَّن -ﷻ:- أنَّ الهدف من هذا التنوُّع هو تحقيق التعارُف فيما بينهم، وأكَّد أنَّ ميزان الإكرام والأفضليَّة هو للأكثر تقْوى، يقول -ﷻ-: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾} [سورة الحجرات:١٣]، ومن المعلوم أنَّ وسيلة الاتِّصال بين ذَوِي الألسُن المختلفة تقوم على الترجمة، والتي ازدادت أهميَّتها بازدياد انفتاح الشعوب على العالم، حتى أصبحت من أهمِّ وسائل التواصل الثقافيِّ بين الشعوب.

الجدير بالذكر أنَّه على الرغم من وجود العديد من أعمال الترجمة في المملكة العربية السعودية، ووفْرتها إلَّا أنها لم تنلْ الاهتمام الكافي من الباحثين بدراستها، وتحليلها ثقافيًّا؛ للوقوف على معالمها، وآثارها المعرفيَّة، والثقافيَّة، ومن هذا الباب جاءت هذه الدراسة الموسومة: بـ " المحتوى الثقافي للكتب المترجمة إلى اللغة العربية في النظام الأسري بالمملكة العربية السعودية"، وتناولت في مُجملها أربعة وعشرين كتابًا مترجمًا بالتعريف، والتحليل، والنقْد بطريقة علميَّة، ثقافيَّة، وقُسِّمت إلى مقدِّمة، وفصلين، وخاتمة.

وفي المقدِّمة ذُكرت أهميَّة الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وتقسيماته، بينما قُسِّم صُلْب البحث إلى فصلين، تركِّز على تحليل الكتب المترجمة، وبيان أبرز أُسسها، ومعالمها، ثم نقْدها وفْق ميزان الثقافة الإسلاميَّة، ببيان المقبول منها، والمردود، وانتهت الدراسة بالخاتمة التي اشتملت على عدد من النتائج والتوصيات، ومن أبرز النتائج: طُغيان التفكير الماديِّ على مُجمل الكتب المترجمة، بل وعلى حياة الإنسان بأكملها، إضافة إلى أنَّ من أبرز عيوب

الكتب المترجمة تزعزُع الآراء، وتغيِّرها، وتعارُضها، سواء بين الكتب والمؤلِّفين، أو بين كتب المؤلِّف نفسه، أو حتى في الكتاب الواحد.

والعجيب أنَّ كثيرًا من المؤلِّفين صرَّحوا بهذا التزعزُع، وعلَّلوا بتطوُّر العِلم، وتغيُّر الأزمان، والأحوال، واستحالة بقاء الأفكار، والقناعات كما هي! وإن كان السبب الحقيقيُّ وراء هذا التزعزُع هو الافتقار لوجود مرجعيَّة دينيَّة واضحة، تنظِّم أمر الدين والدنيا، أمَّا بالنسبة للتوصيات، فمن أبرزها: متابعة رصْد الكتب، والأعمال المترجمة إلى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية، وتحليل محتواها ونقْدها، إضافة إلى ضرورة دعْم مراكز الترجمة بالباحثين في عِلم الثقافة الإسلامية، والعلوم الشرعيَّة؛ لتمحيص الكتب قبل نشْرها.

هذا ما تيسَّر لي جمْعه، وإعداده، وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقت فيه للصواب، فما كان من صواب فهو من الله وحْده، وما كان من خطأ ونقْص فهو من نفسي والشيطان، وأعتذر عن ذلك.

Abstract:

Diversity among humans in terms of languages and other aspects is indeed a clear sign on Allah's competence and ability in creation. The Almighty says in the Qur'an: "**And of His signs is the creation of the heavens and the earth and the diversity of your languages and your colors**. **Indeed**, **in that are signs for those of knowledge**" ٣٠:٢٢. Moreover, in another verse the Almighty states that the reason behind this diversity is to let humans know each other, and that only righteousness is what determines who is the best and the most noble among them in the sight of Allah. The Qur'an says in this matter: "**O mankind**, **indeed We have created you from male and female and made you peoples and tribes that you may know one another**. **Indeed**, **the most noble of you in the sight of Allah is the most righteous of you**. **Indeed**, **Allah is Knowing and Aware**" ٤٩:١٣

It is also known that translation is considered as an essential mean that paves the way for communication among people who speak different languages. And because of the open world we live in today which allows exposure to other cultures, translation has become one of the most important means of cultural communication. And through translation people can acquire knowledge of both Western and Eastern new sciences in various fields such as the field of culture, arts, ideas and principles and other fields. It is worth mentioning that despite of the large number of translated works in Saudi Arabia, they have not attracted enough interest of researchers for an in-depth study of their cultural backgrounds. Such analytical study will help understanding the cognitive and cultural features and effects of these works. Therefore, this thesis entitled: "**The Cultural Content of Translated Books in Saudi Arabia**: **in the field of family system**" will tackle this important topic by studying, introducing, analyzing, and criticizing twenty- four translated books in a cultural and scientific manner. The thesis is divided into an introduction, three chapters, and a conclusion,The introduction of this thesis includes importance of the topic, the reason behind choosing it, objectives of the study, inquiries related to the study, limitations, previous studies, research methodology, and sections of the research. While the preface clarifies the research terminologies. The body of the research is divided into two main chapters dedicated to studying the books translated to Arabic in Saudi Arabia. Furthermore, each chapter is divided into two

sections first section section is about analyzing the translated books and clarifying their bases and features, and the second section is on criticizing the translated books from an Islamically cultural perspective and showing what is accepted and what is not. Finally, the conclusion of the study contains several results and recommendations. Among these results are the great negative impact of materialism on translated books and on humans' life entirely which is seriously threatening to their humanity and values that are based on social solidarity and companionship. In addition, the biggest downside of translated books is their instable, contradictory, and changeable opinions. That is also the case even among the writers of these books themselves. The thoughts of a certain writer are so discrepant in his/her different books, sometimes even within the same book! Surprisingly, those writers admit that this instability and discrepancy in their opinions is because science and knowledge are constantly developing, and time is changing which means ideas and convictions can never remain the same. Whereas as a matter of fact, the real reason behind this instability of thoughts is lack of a clear religious ,As for the recommendations of this thesis, it recommends the necessity of monitoring books and works translated into Arabic in the Kingdom of Saudi Arabia and the importance of analyzing and criticizing their content. In addition to the necessity of supporting translation centers by providing them with specialized researchers in the fields of Islamic Culture and Islamic Studies who will be responsible for scrutinizing books before publishing.

In the conclusion of this abstract, I hope that my thesis is written, collected, and prepared in the best and most right manner. If so, that shall be by the favor of Allah only and if not, that shall be from within myself and shaitan. And I apologize on any error or deficiency you might find.

Indeed, Allah alone is the Guider to the correct path.

The Researcher

المقدِّمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، قال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢} [سورة آل عمران:١٠٢]، وقال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١} [سورة النساء:١]، وقال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١} [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد؛

تُعدُّ الترجمة نشاطًا ثقافيًّا، ذا تأثير بالغ الأهميَّة في نهضة الفِكر الإنسانيِّ، وإثراء الحياة الثقافيَّة، والاجتماعيَّة، والعلميَّة، فهي من أهمِّ وسائل تواصُل الشعوب ذوي الألسُن المختلفة، وتفاعلهم، ومن خلالها يتمُّ نقْل ثقافات الأمم، وإسهاماتهم في سائر العلوم، وممَّا يميِّز الترجمة أنَّها كانت، وما زالت مُلازِمة لتاريخ الإنسان منذ بدايته؛ فتعدُّد الشعوب والأقوام، واختلاف اللغات عزَّز أهميتَّها والحاجة إليها؛ لإشباع ضرورة التواصل بين البشر فُرادى وجماعات، فكانت بدايتها ترجمةً بالإيماءات والإشارات، حتى وصلت إلى الترجمة بالقراءة، والكتابة، وأصبحت عِلمًا، له قواعده، ونظريَّاته، ومبادئه.

وقد أولَت المملكة العربية السعودية أمر الترجمة اهتمامًا بالغًا، ومن ذلك الحثُّ عليها، والتحفيز لها، حتى أقامت جائزة خاصة بها باسْم (جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالميَّة) للترجمة، وانطلقت هذه المبادرة من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وعُزِّز دعمُها على مستوى الجامعات، والمؤسَّسات الحكوميَّة والأهليَّة في جميع مدن المملكة العربية السعودية، حيث أنشأت على إثر ذلك عدَّة مراكز متخصِّصة بالترجمة، وبالرغم من ظهور أعمال مترجمة عديدة في المملكة العربية السعودية؛ إلَّا أنَّها لم تنلْ الاهتمام الكافي من الباحثِين بدراستها، وتحليلها، ونقدها ثقافيًّا؛ للوقوف على آثارها المعرفيَّة والثقافيَّة، ومن هذا الباب جاءت هذه الدراسة الموسومة بعنوان: " المحتوى الثقافي للكتب المترجمة إلى اللغة العربية في النظام الأسري بالمملكة العربية السعودية"،

وأسأل الله – ﷻ– بكرمه، ومزيد فضْله، وامتنانه أن تكون –هذه الدراسة– مرجعًا أصيلًا في هذا الباب.

أهمية الموضوع، وأسباب الاختيار:

١) أهميَّة محلَّ الدراسة: وهي الكتب الترجمة، فمن المعلوم أنَّ الترجمة هي الأداة الرئيسيَّة في التواصُل الثقافي بين الشعوب، وتفعيل الاتِّصال المعرفيِّ بين الحضارات.

٢) انعدام الدراسات العلميَّة الخاصَّة بتحليل الكتب المترجمة بالمملكة العربية السعودية، ونقدها، وممَّا لا شكَّ فيه ضرورة مثلِ هذه الدراسات التحليليَّة، خصوصًا مع وفْرة الكتب المترجمة في السعودية، وازديادها في العصر الحديث.

أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث في عدَّة أمور، من أهمِّها:

١) تحقيق التوازُن بين كثرة الكتب المترجمة في المملكة العربية السعودية، وانعدام الدراسات العلميَّة المحلِّلة، والناقِدة لها.

٢) استنباط وتحليل أهمِّ الأُسس الرئيسيَّة، والمعالِم الثقافيَّة، التي يركِّز عليها محتوى الكتب المترجمة في مجال النُّظُم بالمملكة العربية السعودية.

٣) تقييم الكتب المترجمة في مجال النُّظُم ثقافيًّا، ونقْدها بميزان الثقافة الإسلامية.

٤) تحديد آثار المحتوى الثقافيِّ للكتب المترجمة على ثقافة المجتمع المسلم سلبًا، وإيجابًا؛ لتطويرها، وتقويمها.

أسئلة البحث:

يركِّز البحث على الإجابة على السؤال الرئيسيِّ: ما المحتوى الثقافيُّ للكتب المترجمة إلى اللغة العربية في مجال النّظام الأسري بالمملكة العربية السعودية؟

حدود البحث:

الحدُّ الموضوعيُّ: الكتب المترجمة بالمملكة العربية السعودية في مجال النّظام الأسري، أما الحدُّ المكانيُّ: فهو الكتب المترجمة في المملكة العربية السعودية، والحدُّ الزمنيُّ: من عام (١٤١٨ه–١٩٩٧م) إلى عام (١٤٤٢ه–٢٠٢١م)، أما الحدُّ العدديُّ: تمَّ اختيار (٢٤) كتابًا للدراسة، والتحليل، والنقد.

وكانت آليَّة اختيار الكتب مبنيَّة على توفُّر واحد من ثلاثة معايير رئيسيَّة، وهي: أن يكون الكتاب قد حقَّق نِسبة مبيعات عالية على مستوى المملكة العربية السعودية، أو أن

يكون قد تميَّز بقصَّة تأليفه، أو مُؤلِّفِيه، كأن يكون المؤلِّف ممَّن ذاع صِيتُه في مجال التأليف عمومًا، أو كان الكتاب الأوَّل لتجربة زوجين، ونحوه، والمعيار الثالث التنويع بين الكتب من ناحية العُمْق، والحجم، والأهداف، والصياغة، والإخراج.

الدراسات السابقة:

بحسب ما قامت به الباحثة من جهد، وبحث في الرسائل العلميَّة؛ فإنَّها لم تقفْ على دراسة في هذا الموضوع بمحاوره، وموضوعاته.

منْهج البحث:

يقوم البحث إجمالًا على المنهج التكامُليِّ، الذي يجمع بين المنهج الاستقرائيِّ، الوصفيِّ باستقراء أهمِّ الكتب المترجمة في المملكة العربية السعودية بمجال النظام الأسري، ثم اتِّباع المنهج التحليليِّ لها، ثم المنهج النقديِّ في دراستها، وتقييمها على ضوء الثقافة الإسلاميَّة.

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدِّمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، كالتالي:

- **المقدِّمة، وفيها:** أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، أسئلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وهيكله.
- **الفصل الأول:** معالم النظام الأسري في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية.
- **الفصل الثاني:** النظام الأسري في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية بضوء الثقافة الإسلامية.
- **الخاتمة، وفيها:** أبرز النتائج والتوصيات

الفصل الأول: معالم النظام الأسري في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية.

المبحث الأول: الفرديَّة، والمساواة المطلقة

المطلب الأول: الفرديَّة.

- **المقصود بالفرديَّة بالكتب المترجمة في النظام الاجتماعي:**

خروج الفرْد، وتحرُّره من سُلطة المجتمع، وذلك بتقديم حقوقه على حقوق المجتمع، وجعْل غاية المجتمع: رعاية وتقديس مصالح الفرد، وعليه فالفرديَّة ترمز إلى الواقع الاجتماعي، والثقافي في الحضارة الغربيَّة، والذي يحوِّل الإنسان من كائن اجتماعي مندمِج في مجتمعه إلى كائن فرْد متفرَّد، وكائن مستقلٍّ عن الجماعة التي ينتمي إليها، يمتلك كامل حريَّته، وسيادته، واستقلاليَّته، وله طريقته الخاصة في حياته، وسلوكه، وممارساته، وإليه تعود المرجعيَّة في تحديد القِيم، والمعارف، والتشريعات، والقوانين، والأعراف، وبالنظر لقِيمته؛ فهي أعلى من المؤسَّسات المحيطة به، ووجوده سابِق لها، فهو المحور، والأساس في أيِّ مجتمع، وما الدولة إلَّا أداة لخدمته، وضمان كافَّة حقوقه التي تُعدُّ طبيعيَّة، أزليَّة، لصِيقة بطبيعته الإنسانية، تُولَد معه، وتلتصِق به، وتسبق كلَّ تنظيم سياسيٍّ، أو انتماء دينيٍّ، أو مجتمعيٍّ، وهي نظرية الحقِّ الطبيعيِّ، فالفرد حامِل لحقوق ثابتة، يستمدُّها من طبيعته ذاتها، وهي حقوق حريَّات ليس له أن يتنازل عنها؛ لأنَّ تنازُله يعني تخلِّيه عن إنسانيَّته، وهذا التصوُّر يجرِّد المجتمع من صِبغته الدِّينية، والأخلاقية[1].

- **تطبيقات الفرديَّة في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية في النظام الاجتماعي:**

تظهر تطبيقات الفرديَّة في كثير من الكتب المترجمة، ومنها:

أولًا: التركيز على مركزيَّة الزوجين، ثم الأبناء: فترى الكتب المترجمة –خصوصًا الكتب المتعلِّقة بالحياة الزوجية– أنَّ الزوجين هما محور اهتمام المجتمع بصورة إلزاميَّة، ومصالحهما غاية في ذاتها، يلزم تقديمها على مصالح المجتمع كاملة، بلا قيود دينيَّة، أو اجتماعية، أو أخلاقية، وتؤكِّد كذلك على أنَّ تحقيق النجاح في العلاقات الزوجيَّة منوط بتعزيز الفرديَّة في حياتهم، وبناءً على ذلك غيَّرت ترتيب الأولويَّات الحياتيَّة

(١) ينظر: كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧–٤٨)، ولا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٨٣)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ٨٩)، والرجال من المريخ والنساء من الزهرة، (ص:١٦٤)، وما بعد المريخ والزهرة، (ص:٧) و(ص:١٠٠)، والتعريب، مجلة نصف سنوية محكمة، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، العدد: ٢٨، دمشق، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، الطبعة الأولى، (ص: ٢٤)، والليبرالية مشارب متعددة، منوبي غباش، تقديم صالح مصباح، جاول للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م، الطبعة الأولى، (ص:٧٢–٧٣).

والمسؤوليَّات، ووضعت الزوجين على رأسها قبل الوالدين والأبناء وغيرهم، وإن كانت بالمقابل تؤمن بصعوبة هذا الترتيب، إلَّا أنها تصفِها بالصعوبة الضروريَّة المؤقَّتة، المرتبطة بالبدايات، والتي يلزَم تحمُّلها؛ لتحقيق السعادة واستمرار الحياة، ومن شواهد ذلك؛ ما جاء في أحد الكتب قوله: "إنَّ وضْع شريك حياتك على رأس أولويَّاتك، قبل أبويك، وإخوتك، وكلِّ مَن يهمُّك شأنه؛ قد يكون أمرًا صعبًا، ... ولكن إذا كانوا يحبُّونك؛ فسوف يسعدون لسعادتك في حياتك الزوجيَّة، وهذا يعني أنَّ عليهم أن يشجعوك على أن تجعل شريك حياتك، وزواجك قبل أيِّ شيء آخر في حياتك"[١]، وربطت ذلك بتحقيق الأمان النفسيِّ، واستشعار النِّعم من خلال إيمانها بأنَّ أعظم هِبة يقدِّمها الإنسان لنفسه هي أن يدرك قيمة نفسه، ويشعر بالأمان؛ لتميُّزه، وأهميَّته، وانفراده، وعند تزعزعُ ذلك؛ تختلُّ حياته، وكامل علاقاته[٢].

ويُلاحظ أنَّ الهدف الأساسي في ذلك هو التجرُّد من كافَّة المسؤوليات، وتهميش دور الوالدين، والأسرة، ووظيفة التربية، وتبريره بسببين رئيسيَّين، وهما، الأول: النظر إليها بأنها مسؤوليات هامشيَّة لمرحلة مؤقَّتة وإن طالت، فسيذهب الأبناء، ويموت الآباء، بعكس الحياة الزوجيَّة المستمرة[٣]، وهذا ما تؤكِّده كثير من الكتب بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، ومن ذلك قولها: "إنَّ وجود الأطفال في المنزل أمر مؤقَّت، حتى وإن طالت تلك الفترة المؤقَّتة، بينما سيعيش معك شريك حياتك"[٤].

والسبب الثاني: النظر إلى هذه المسؤوليَّات بأنها مراحل مُرهِقة، تسعى لزيادة التكاليف، ولا تحقِّق الفائدة المادية، والأرباح المرغوبة [٥]، بل من العجيب أنها تُحمِّل المجتمع مسؤولية مساعدة الزوجين على تهميش هذه المسؤوليات، فممَّا جاء في ذلك: "إن وضع شريك حياتك على رأس أولويَّاتك، قبل أبويك وإخوتك، وكلِّ مَن يهمُّك شأنه؛ قد يكون أمرًا صعبًا، ... ولكن إذا كانوا يحبونك؛ فسوف يسعَون لسعادتك في حياتك الزوجيَّة، وهذا يعني أنَّ عليهم أن يشجعوك على أن تجعل شريك حياتك، وزواجك قبل أيِّ شيء آخر في حياتك"[٦]، وعليه يُلاحظ بشكل جلِيٍّ، وظاهِر أنَّ معظم الكتب

(١) كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧)

(٢) ينظر: كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧-٤٨)، ولاتهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٨٣)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ٨٩)، والرجال من المريخ والنساء من الزهرة، (ص:١٦٤)، وما بعد المريخ والزهرة، (ص:٧) و(ص:١٠٠).

(٣) ربط الموت بتقدّم العمر أمر ملاحظ في الكتب المترجمة، ومن ذلك: رؤيتها باستدامة حياة الأزواج، واقتراب نهاية وموت الآباء!

(٤) قواعد الحب، ريتشارد تمبلر، (ص: ١٠٥).

(٥) ينظر: كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧)، وقواعد الحب، (ص:١٠٥)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ١٠٣).

(٦) كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧).

المترجمة لم تكتفِ بإلغاء واجبات الزوجين تجاه أُسَرهم –خصوصًا الآباء والأبناء–، وإنَّما جعلت ذلك من حقوق الأزواج على الأُسر بأن يساعدوهم، ويدعموهم على تقصيرهم!

ممَّا يُلاحَظ كذلك في ترتيب سُلَّم الأولويَّات الحياتيَّة أنَّها تضع في المرتبة الثالثة – بعد الزوجين والأبناء– أولويَّة العناية بالحيوانات الأليفة الخاصة بالفرد، ثم ما يتعلَّق بالعمل، والوظيفة، ثم الالتزامات العائليَّة، والأسريَّة الممتدَّة، بل إنَّ بعضها يُقدِّم العناية بالحيوانات حتى على الأبناء(١).

ثانيًا: الميل للعزلة، والتركيز على وحدة الإنسان الداخليَّة:

إنَّ كثيرًا من الكتب المترجمة تدعو إلى النظر لوحدة الإنسان الداخليَّة كنظام مستقلٍّ، متكامِل، لا يحتاج لأيِّ أنظمة أخرى خارجيَّة، تُقيِّده، أو تؤثِّر عليه، فترى أنَّ الفرد بوحدته الذاتيَّة قادر على رسْم حاضِره، ومستقبله إذا كرَّس وقته، وجهده لنفسه، وانطلق من تفكيره، ورغباته، وتحليلاته الشخصيَّة للأمور، خصوصًا في سنوات عطائه، وشبابه، وأنَّ عليه ألَّا يتنازل عن سنوات حياته من أجل الآخرين مهما كانوا مهمِّين لديه، فالحياة الزوجية تتطلَّب من الإنسان التضحية بكلِّ ما يظنُّه مقدَّسًا؛ سواء من الأفكار، والمعتقدات، أو حتى الأشخاص، وعليه أن يتخلَّى، وينعزل عن أسرته، وأصدقائه، وهوياته، وعمله، ويستغني، ويكتفي الزوجان ببعضهما البعض عن كلِّ شيء، ومن جانب آخر تؤكِّد على أنَّ الزواج في أساسه لا يعني حاجة الزوجين لبعضهما، وإنَّما هو رغبة مجرَّدة يسعى الزوجان للمحافظة عليها بدافع الرغبة لا الحاجة، بمعنى أنه لن يلحقهما أيُّ ضرر بالتنازل عنها في حال تعارضت مع رغبة أحدهما، أو كليهما.

بناء على مبدأ الرغبة والحاجة: ترى كثير من الكتب أنَّه إن كان أحد الزوجين لا يتلقَّى الاهتمام الكامل الذي يستحقه من الطرف الآخر؛ فعليه تركْه، والبحث عن شخص آخر يُولِيه ذلك الاهتمام؛ فالتسامح، والتنازل من البداية يُعدُّ إشارة، وإنذارًا بالخطر المقبِل؛ لأنه حتمًا سيُنهي الحياة الزوجية عاجلًا، أو آجلًا، ويظهر إيمانها بهذا المبدأ جليًا في ترديدها لعبارات كثيرة في بعض الكتب مثل: "اذهب وابحث عن شخص يريد أن يسعدك حقًّا، وإن لم يكن شريك حياتك يهتمُّ بك الآن في بداية العلاقة؛ فسوف تسوء الأمور أكثر، وأكثر إذا استمرَّيتما معًا"(٢)، "إن لم تحب زوجك؛ فاتركْه حتى لو كان

(١) ينظر: عشر خطوات لتربية شبه مثالية للأبناء، (ص:١١٥)، وقواعد التربية، (ص:٧٤) و(ص:٢٤٤).، والأسرار السبعة للتربية المثالية، (ص:٣٠)، و(ص:٣٧)، و(ص:١٣٩)، والأولاد الذين يفكرون خارج المألوف، (ص:١٢).

(٢) قواعد الحب، (ص: ٣٣).

مميَّزًا"[1]، وغيرها من العبارات التي تُعزِّز جانب الأنانية، والمادية، وتركِّز على الرغبات الداخلية، دون النظر للزواج بأنه عقْد، وميثاق غليظ، يقوم على المودَّة، والرحمة، والمسؤولية المشتركة، كذلك يُلاحظ الأمر نفسه في الكتب المتخصِّصة بتربية الأبناء، فترى أنَّ الأبناء الأقوياء منذ صغرهم لا يخضعون لأقرانهم بسهولة، بل يفكِّرون، ويقرِّرون حياتهم باستقلالية، حتى إذا كبروا؛ اتَّبعوا شعورهم الداخلي في كلِّ قراراتهم، ولم يتأثَّروا بمعتقدات، وأفكار الآخرين مهما كانوا، وهذه علامة صحِّيَّة للشعور باحترام الذات، وتقديرها، وتؤكِّد أيضًا على أنَّ احترام الذات، وتقديرها ليس هِبة أو مِنحة تُعطى لأيِّ فرد، وإنَّما تُكتسَب بتعليم الأبناء، وتعزيز فكرة أنَّهم وحْدهم المسؤولون عن إسعاد أنفسهم، وأنَّ أوَّل خطوة لذلك هي التركيز على الجوانب الإيجابيَّة في الشخصية، فهي التي تجعل الإنسان فخورًا بنفسه وبأبنائه، ومنها يبدأ التغيير الدائم ويستمرُّ، وبالمقابل ترى أن أعظم أسباب نشأة العناد في شخصيَّة الأبناء هو اقتصار التواصل معهم على النقْد والتوجيه فحسب، دون منْحهم الحريَّة الكاملة للتعبير عن ذواتهم بطريقتهم[2].

ممَّا يُلاحظ في مُجمل الكتب المترجمة؛ افتقارها للتوازن الحقيقي في طرْح ومناقشة الأفكار، والأنظمة، فبدلًا من تقدير الذات؛ تنحرِف بشكل ظاهر لتقديسها، وبدلًا من منْح الحريَّة الطبيعية للأفراد؛ تنحرف للتحرُّر، والفوضى، والأنانية، وهذا بلا شكٍّ أمر طبيعي في الأنظمة الوضعيَّة، التي تستقي مبادئها، ومناهجها من مصادر بشريَّة.

ثالثًا: الانفكاك عن سُلطة الأسرة، والمجتمع:

وهي النتيجة الحتميَّة بلا شكّ لتعزيز التركيز على وِحدة الإنسان الداخلية، ويُقصد بذلك: أنَّ القيمة العُليا والسيادة والحريَّة الكاملة؛ من حقوق الفرد الذي تَحوّل من جزء مندمج في المجتمع، إلى شخصيَّة مستقلَّة، تسعى لتحقيق نموِّها وقُدراتها وأهدافها الخاصة، وبالمقابل ترفض وتخرج عن أيِّ سُلطة خارجية، تقيِّدها باسم القانون، أو القِيم، أو الأعراف، أو غير ذلك.

وعليه تقيس مدى تطوُّر المجتمع، وقيامه بواجباته بمقدار تشجيعه لأفراده على تقديم مصالحهم، ورغباتهم على جميع مصالح فئات المجتمع أيًّا كانت، باعتبار أنهم أفراد مستقلُّون، وليسوا أعضاء مكمِّلين في المجتمع، فيُنشَّأ الأبناء على أن تكون لهم رؤيتهم

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: كيف تنقذ علاقتك الزوجية من الانهيار، (ص:١٥٠)، وحاول أن تروِّضني، (ص:١٠٦)، ولغات الحبِّ الخمس التي يستخدمها الأطفال، (ص:١٤٤)، والأطفال من الجنَّة، (ص:٤٥)، وطفلك المتمرِّد ٨ خطوات لسلوك أفضل، (ص:٨٨)، وكيف يُنشئ الآباء الأكفَّاء أبناء عظامًا، (ص:٢٢٨).

المستقبليَّة، المستقلَّة، والتي بمجرد تخلِّيهم عنها يكونون عُرضة لتسلُّط الآخرين؛ سواء من الوالدين، أو الأصدقاء، وحذَّرت بعض الكتب بطريقة مباشرة، وغير مباشرة من التركيز على إرضاء الوالدين، أو تقديم أولويَّة إرضائهم على الأولويَّات الشخصية، وربطت ذلك بالرضوخ لسيطرة الآخرين، إضافة إلى تحليلها –الكتب المترجمة– بأنَّ في الانفكاك عمَّا سمَّته بسُلطة المجتمع تعزيزًا للصورة الذهنية التي يحتفظ بها الإنسان عن نفسه، وهي بإيجاز: الشعور بالقدرة الكاملة، والجدارة التامة، والإحساس الداخلي بالتمكُّن والكفاءة، والرضا بالسلامة من الإصابة بغالبيَّة الأمراض الشخصيَّة، والاجتماعية التي تصيب المجتمع نتيجة الافتقار لاحترام النفس وتقديرها، والتعرُّض لشعور التسلُّط والفشل، والإحباط في كل إخفاق قد يحصل، مهما كان بسيطًا، وطبيعيًّا[1].

المطلب الثاني: المساواة المُطلَقة.

- **المقصود بالمساواة المُطلَقة في الكتب المترجمة بالنظام الاجتماعي:**

المساواة الكاملة بين الجنسين، وتجاهُل الاختلافات البيولوجيَّة بين الرجل والمرأة بالتعامل معهما كنوع واحد، والنظر إلى مسؤولياتهما بأنها أدوار نمطيَّة، ناتجة عن عوامل اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، لا علاقة لها بالجانب الفِطري، وبناء عليه ترى إعادة توزيع الأدوار بين الرجل، والمرأة في المجتمع من منطق مفهوم المساواة، والمشاركة، وممَّا يُلاحظ أنَّ المساواة المطلَقة لاتهدف لإصدار القوانين اليسيرة التي تُحسِّن وضْع المرأة، وإنما تهدف إلى تغيير الثقافة، وتكذيب الفطرة بصناعة أعراف، وقيم جديدة، وهي بهذا المفهوم تُعدُّ من أهم ركائز الفكر الغربي التي ظهرت نتيجة الصراع التاريخي في الغرب[2].

- **تطبيقات المساواة المطلَقة في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالنظام الاجتماعي:**

تظهر تطبيقات المساواة المطلَقة في كثير من الكتب المترجمة، ومن ذلك:

أولًا: إعادة تشكيل النظام الثقافي، والاجتماعي، وبنائه على أساس المساواة الكاملة:

ترى مُجمَل الكتب المترجمة أنَّ الأدوار التي يقوم بها كلٌّ من الرجل والمرأة هي أدوار نمطيَّة، اجتماعية، وثقافية يلزم تعديلها، وأنَّ الفروقات بينهما ما هي إلَّا ثمرة لهذه

(١) ينظر: كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٤٧)، والأطفال من الجنة، (ص:٢)، و(ص:٢٧)، والعادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية، (ص:٢٠).

(٢) ينظر: لغات الحبِّ الخمس، (ص:٨٦–٩٢)، وكيف تصبح زوجًا مثاليًّا، (ص:٧١)، ولماذا يتصادم المريخ والزهرة، (ص: ٢٥)، ومابعد المريخ والزهرة، (ص:٢)، والمبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:٥٠)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٦٨)..

الأنماط، ولا علاقة لذلك بالخِلقة، أو التكوين البيولوجي، وعليه ترى ضرورة تغيير المفاهيم حول طبيعة الرجل والمرأة، وإعادة توزيع الأدوار بينهما بصورة أكثر حريَّة، بالاعتماد على تجاوز، وتجاهل القيود المبنيَّة على الجِنس، وتبنِّي الشخصيَّات الحقيقية لهما، إضافة إلى إيمانها بضرورة المساواة؛ خصوصًا في هذا العصر الذي أصبح الرجال والنساء يمتلكون المزيد من المرونة للقيام بأدوار أخرى مختلفة، وفقًا لحاجاتهم، ورغباتهم الماديَّة، والاجتماعيَّة، كما ترى أنَّ في فهْم النساء لأدوار الرجال التقليديَّة أثرًا كبيرًا في إظهار خواصهنَّ الذكوريَّة! وأن أغلب مِهَن الرجال التقليديَّة تساعد على إفراز أكثر لهرمونات الذكورة، وعليه فممارسة النساء لمهام الرجال يزيد من نسبة إفراز هرمون الذكورة، ويقلِّل من إفراز هرمون الأنوثة، وينطبق الأمر ذاته على الرجال الذين يمارسون أدوار النساء[1]، ومن هنا جاء تفريقها بين مصطلحات تصِف نوعيَّة العلاقة بين الزوجين، وهي: توأم الدور، وتوأم الروح، ومن تلك الفروق ما يلي:

أ- تقوم علاقة توأم الدور التقليدية على الأدوار النمطية لكلٍّ من الذكَر والأنثى، حيث يكون الرجل عائل الأسرة، وتكون المرأة مدبِّرة المنزل، فالهدف الرئيسي من علاقة توأم الدور هو تقسيم المسؤوليات بين الرجال والنساء؛ لضمان الاستمرارية والأمان لحياتهم، فيكون اختيار الزوجين لبعضهما البعض مبني على قدراتهما لتأدية الأدوار، والمسؤوليات المنوطة بهما[2].

ب- تقوم علاقة توأم الروح على التخلِّي عن الأدوار التقليدية كرجال ونساء، فبدلًا من التقيُّد بالتعبير عن السمات المتَّصلة بأدوارهم التقليدية؛ أصبح الرجال أكثر حرية في لمْس جانبهم الأنثويِّ، وأصبحت النساء أيضًا قادرات على الوصول لجانبهنَّ الذكوريِّ، والهدف الرئيسي من علاقة توأم الروح هو الحريَّة في التعبير عن الذات، وإشباع الحاجات بغضِّ النظر عن الجِنس، والفطرة، وهو ما تدعو إليه مُجمَل الكتب المترجمة[3].

الجدير بالذكر أنه ممَّا يُلاحظ في هذا المحور تحديدًا: كثرة التناقضات، والتعارض بين الكتب، بل حتى بين دفَّتَي الكتاب الواحد، ففي بعضها يُلاحظ اختلاف آراء المؤلِّف في مواضيع الكتاب الواحد بين مؤيِّد لوجود الاختلافات بين الجنسين، ورافض لها،

(١) لماذا يتصادم المريخ والزهرة، (ص: ٢٥)، وكيف تصبح زوجًا مثاليًّا، (ص:٧١)، وقواعد الحبّ، (ص: ١١٠)، ومابعد المريخ والزهرة، (ص:٢)، والمبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:٥٠).

(٢) ينظر: مابعد المريخ والزهرة، (ص:١٧)، ولغات الحبّ الخمس، (ص:٩٢).

(٣) ينظر: مابعد المريخ والزهرة، (ص:٢٤).

وأحياناً تتعارض آراء المؤلِّف الواحد، وتتغيَّر توجُّهاته بين كتاب وآخر، ومن ذلك: التناقض الحاصل لدى صاحب كتاب: الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، الذي بنى كتابه كاملًا على إيمانه بوجود الاختلافات بين الجنسين، إلَّا أنه في كتابه الآخر، والمسمَّى بما بعد المريخ والزهرة عارض كلَّ ما ورد من أفكار سابقة له، واعترف بذلك، فقال: "تناول كتاب الرجال من المريخ والنساء من الزهرة أكثر التحدِّيات، والأفكار الخاطئة شيوعًا بين الرجال والنساء، وقدّم حلولًا تصلُح لما كان عليه العالم منذ عشرين عامًا مضت، ومنذ ذلك الحين تغيَّرت العلاقات بين الرجال والنساء بصورة جذريَّة، أصبحنا أكثر حريَّة من أي وقت مضى؛ لنتخطَّى الثوابت المقيِّدة لكلٍّ من الرجال والنساء، ونتيجة لهذا لم تعُد السمات الشائعة الخاصة بالمريخ والزهرة، والرجال والنساء صالحة... لقد أصبحت فكرة المريخ والزهرة جزءًا من الثقافة العامة، وساعدت الملايين من الرجال والنساء على التواصل فيما بينهم بصورة أفضل، ولكنها فكرة كلَّما زادت شعبيتَّها، وبمرور الوقت؛ أصبحت أقلَّ قيمة، وأكثر عُرضة للاستخفاف"(١)، وقال في موضع آخر: "واليوم لم نعُدْ نرى أنَّ هذا الكبت الذاتيَّ مقبول –يقصد الدور الخاص لكلِّ جِنس– ...، فمع تزايُد استقلاليَّة النساء ماديًّا، وتعليمهنَّ، واعتمادهنَّ على أنفسهنَّ تغيَّرت المتطلَّبات العاطفيَّة لكلٍّ من الرجال والنساء عند اختيار شريك مناسب، ولأنَّ المرأة لم تعُدْ تعتمد على زوجها بالكامل، ليُشعِرها بالاستقرار، والأمان، أصبحت تمتلك حريَّة أكبر للسعي لتحقيق أحلامها، ولتتصرَّف طِبقًا لأهوائها، وإن لم ينجح الأزواج أصبح من السهل جدًّا الآن الحصول على الطلاق، ففي عام ١٩٦٩م زادت نسبة حالات الطلاق في أمريكا من ١٠% إلى ٥٠% في عام واحد فقط"(٢)، وهذا الاختلاف والتناقض الواضح نتيجة حتميَّة لكلِّ نظام وضعيٍّ، يقوم على آراء واجتهادات البشر، التي تبقى قاصرة وناقصة، ومتغيِّرة ومتبدِّلة.

ثانيًا: استخدام مصطلح الشريك، والشراكة:

يُلاحظ في أغلب الكتب المترجمة، المختصَّة بالنظام الاجتماعي استبدال مصطلح (الزوج والزوجة) بمصطلح (الشريك)، واستخدام مصطلح (الشراكة) للتعبير عن نوعيَّة العلاقة بين الزوجين، فمفهوم الأسرة فيها قائم على التقاسُم، والتناصُف التامُّ لجميع المهامِّ بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، فهما قُطبان مشتركان في المكانة، والقرار، ومتساويان

(١) مابعد المريخ والزهرة، (ص:١١).
(٢) المرجع السابق، (ص:١٨).

مساواة مطلَقة في كامل الحقوق، والواجبات، دون تمييز، أو تصنيف للمهامِّ، والمسؤوليات المنوطة بهما، ابتداءً من قيادة الأسرة، إلى أدقِّ تفاصيلها، وترى أنَّ اختلال الشراكة، والخلافات الواقعة بين الوالدين على مسألة الرعاية، ومسؤولياتها؛ تؤثِّر سلبًا على حياة الزوجين أولًا، ثم علاقتهما بأبنائهم، ومنهجيَّة تربيتهم، إضافة إلى تأثيرها السلبي بتفشِّي الكثير من المشاكل النفسيَّة عند الأبناء، والتي تنعكس على سلوكهم؛ سواء بالتمرُّد على الآخرين، أو الانطواء على الذات، وربطت ذلك كله بكثرة حالات الطلاق في المجتمع(١)، الجدير بالذكر أيضًا أن مفهوم الشراكة أوسع من مفهوم الزواج، فالشراكة تتعلَّق بكلِّ شخصين يعيشان معًا في مسكن واحد، سواء كان هذا العيش في إطار الزواج المتعارف عليه بين الرجل والمرأة، أو كان في إطار العلاقات الخارجة عن هذا الإطار، وهذا بلا شكٍّ يُلغي قُدسيَّة الزواج، وخصوصيَّته التي تُميِّزه عن سائر العلاقات المحرَّمة بين الرجل والمرأة، فهي تجعله بمثابة نوع من أنواع العلاقات فحسب.

ثالثًا: تكافؤ الفرص:

يُقصَد بتكافؤ الفرص: أي إتاحة الفرص ذاتها للرجل والمرأة؛ لاكتشاف ما لديهم من قدرات كامنة، بهدف تمكِينهم من مهارات تفيدهم في القيام بأدوار جديدة، تعود بالنفع، والسعادة، والرضى في الأسرة، ويتجلَّى هذا التطبيق في الكتب المترجمة بمظهرين رئيسيَّين، وهما:

أ- **الأمومة وظيفة اجتماعية:** ترى الكتب المترجمة أنَّ الأمومة وظيفة ومَهمَّة اجتماعية، غير مرتبطة بالجِنس، فهي وظيفة محايدة، لا تقتصر على الأمِّ، وليس لها أيُّ علاقة بالفِطرة أو طبيعة خَلْق المرأة وتكوينها، وإنما جاء إلصاقها بالمرأة بفِعل التنشئة والثقافة المجتمعيَّة فحسب، ولذلك باستطاعة أيِّ شخص آخر القيام بهذه الوظيفة، سواء كان ذكرًا أو أنثى، وهذا ما يجعل الآباء على حدٍّ سواء مع الأمهات في مستوى تلبية حاجات أبنائهم، بل يجعل الآخرين كالأمِّ في العناية بالأبناء، وتعاهُدهم، وهذا يتطلب بلا شكٍّ تعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، القائمة على الأدوار النمطيَّة لهما، والاعتماد على النظام الأسريِّ الحديث، القائم على الاعتراف بالمسؤوليَّة المشترَكة لكلٍّ من الرجال والنساء في إدارة شؤون الأسرة، وتربية الأبناء(٢).

(١) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص:٧١)، وقواعد الحب، (ص: ١١٠)، و(ص:١٣٧)، ولغات الحب الخمس، (ص:٣٥) و (ص:٩٢)، والمبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:٢٤١)، طفلك المتمرد ٨ خطوات لسلوك أفضل (ص:٨٧).

(٢) ينظر: لغات الحب الخمس، (ص:٨٦-٩٢)، وقواعد التربية، (ص:٣٥)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٦٨).

ب- قيادة الأسرة مسؤوليَّة مشتركة: فمن منطلَق إيمانها بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة؛ ألغتْ مفهوم ربِّ الأسرة، والولاية، والقوَامة، ونظرت إليها كسلوكيَّات اختياريَّة، مجتمعيَّة، ليس هناك أدنى حاجة لها، وبناء عليه فطاعة الزوج في الحياة الزوجية مُقدَّرة بقدر المساواة بين الجنسين في ذلك؛ لأنَّ لهما نفس الحقوق، والمسؤوليات، وكذلك الأمر بالنسبة للنفَقة، فهي بهذا المفهوم تسقط من اختصاصات أو مسؤوليَّات الرجل، وتصبح واجبًا مشترَكًا، إلزامًا لمَن يملك المال، أيًّا كان رجلًا أو امرأة(١).

▪ **من أبرز الأسباب الداعية لمطالبتها –أيْ الكتب المترجمة– بتحقيق تكافؤ الفرص بين الزوجين، مايلي:**

أ- إعطاء المرأة حقوقها الإنسانية الكاملة(٢)، فهي تربط بين مساواتها بالرجل، وكمال أهليَّتها، ووعيها، وحسْن تدبيرها، دون النظر لعواقب ذلك على المرأة، –خصوصًا– بزيادة ما تشعر به من الضغط، والحيرة، والارتباك مع كثرة المهام الواجبة عليها، ومن المعلوم أنَّ هذا الشعور يكون –في الغالب– أقلَّ عند الرجال، فممَّا جاء في أحد الكتب قوله: "عندما آمر زوجتي بفِعل شيء ما؛ أُصبح أنا الأب، وهي الطفلة؛ إنَّ الأب هو مَن يخبر الطفل ذا الثلاثة أعوام ما ينبغي عليه فِعله، أو بالأحرى ما يجب عليه فِعله، لأنَّ الطفل ذا الثلاثة أعوام لايعرف كيف يُبحر في خِضمِّ مياه الحياة الخادعة، ولكننا في الحياة الزوجية متساويان...، أشخاص بالِغون، وكذا شركاء"(٣).

ب- تمكين المرأة من الوصول إلى عوامل الإنتاج بشكل مساوٍ للرجل، فترى أنَّ عمل المرأة لم يعُدْ مجرَّد اختيار، بل أصبح ضرورة، وأنَّ المرأة غير العاملة عادة ما تكون شديدة الانعزال، بحيث يصعب عليها الحصول على احتياجاتها، إضافة لقلَّة مساحة الأصدقاء، والأنشطة التي تقوم بها مقارنة بالنساء العاملات(٤).

ومن الملاحظ –إجمالًا– أنَّ كثيرًا من المشاكل الواردة في الكتب المترجمة لا ترتبط بالاختلافات بين الزوجين، وإنما بكيفيَّة معالجتها، إضافة إلى أنَّ معظمها مبنيٌّ على كسْب المال، وتربية الأبناء(٥).

(١) ينظر: ثمانية دروس لزواج أكثر سعادة، (ص:٣٣)، وقواعد الحب، (ص: ١٣٧)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص:١٠٧).
(٢) ينظر: الأطفال من الجنة، (ص:١٨).
(٣) لغات الحب الخمس، (ص:٣٥).
(٤) ينظر: لماذا يتصادم المريخ والزهرة، (ص: ٣٤).
(٥) ينظر: لغات الحب الخمس، (ص:٨٩)، والقتال من أجل زواجك، (ص:١٤٧).

المبحث الثاني: التسامح والتواصل اللفظيُّ

المطلب الأول: التسامح

- **المقصود بالتسامح في الكتب المترجمة بالنظام الاجتماعي:**

التسامح في الكتب المترجمة يختلف في معناه عن التسامح في الثقافة الإسلامية، فيُراد به هنا: الإقرار بحقِّ الآخرين في تبنِّي ما يشاؤون من آراء وسلوكيات، والاعتراف لهم بكامل حقوقهم وحريَّاتهم، وقبول أخطائهم كحقٍّ من هذه الحقوق، وإلزام الآخرين بالتعايش معهم كما هم، فلكلِّ شخص حريَّته في أفكاره ومعتقداته، وقِيَمه وسلوكيَّاته الصادرة منه، ولا يصحُّ فرْض الرأي عليه، بل لا بدَّ من احترامه مهما خالَف الأخلاق، أو صادَم العقائد، فالتسامح بهذا المفهوم يُعدُّ أكثر من مجرَّد القبول للآخرين[1]، يُلاحظ كذلك ارتباط التسامح -بهذا المفهوم- بالفرديَّة، فهو ناتج من نواتج تعزيز الفرديَّة؛ حيث إنَّ النظر للإنسان على أنَّه محوَر، وأساس الكون والمجتمع؛ يؤدِّي لمَنحِه الحريَّة الكاملة، الملزِمة بتقبُّل الآخرين لكلِّ ما يريده دون أيِّ تدخُّل بنُصح، وغيره، وعليه فالتسامح في تقبُّل، وترْك الناس وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم ليس كرمًا واجتهادًا، وإنما هو واجب أخلاقيٌّ، ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية، فالتعصُّب يُعدُّ نقيض الحريَّة والتسامح؛ إذْ كلَّما ازداد التعصُّب قلَّت الحريَّة، والعكس بالعكس.

- **تطبيقات التسامح في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالنظام الاجتماعي:**

تظهر تطبيقات التسامح في كثير من الكتب المترجمة، ومن ذلك:

أولًا: احترام الاختلاف، والإقرار به:

يتجلَّى ذلك في المواقف، والأحوال التي يقوم بها أحد الزوجين، وتتعارض مع رغبة الآخر، سواء كان هذا التعارض لمخالفتها الجانب الدينيِّ، أو القِيميِّ، أو السلوكيِّ، أو العادات، والأعراف إلى غير ذلك، فأيًّا كانت الأسباب والمسبِّبات؛ ترى -الكتب المترجمة- أنَّ الواجب على كلا الزوجين قبول غير المقبول من الآخر، وعدم التدخُّل بنُصح، أو توجيه، أو مبادرة للحدِّ من هذا الاختلاف، مهما كانت مُخالفته صريحة، وأنَّ الحلَّ الوحيد للمشكلات الزوجية هو احترام كلا الزوجين للاختلاف الطبيعيِّ بينهما، بصرْف النظر عن الجِنس، والإقرار بحقِّ كلِّ واحد منهما بتبنِّي ما يشاء من معتقدات وما يريد من سلوك، وتقبُّل الاختلاف في الأفكار والآراء بدون شروط، أو رفْض أو

(١) ينظر: لا تهتمَّ بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٩١)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ١٦٥)، والمبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:٢٠٤)، والرجال من المريخ والنساء من الزهرة، (ص:٥٩-٧٤)، وقواعد الحبِّ، (ص: ٢٧)، والعادات السبع للمراهقين الأكثر فعاليَّة، (ص:٢١٢).

انتقاد، أو إصدار أحكام، فلكلِّ فرد حريَّة اختيار أفكاره، ومعتقداته، وسلوكه النابع منها، ومن ثم فلا يصحُّ فرْض الرأي أيًّا كان(١).

تؤكِّد كذلك على أنَّ الفهْم الواسع للاختلافات المتنوِّعة بين الجنسين –سواء الاختلافات المتعلِّقة بهيكَلة العقول، وطريقة أداء وظائفها، أو ما يتعلَّق بالاختلافات الناتجة عن الظروف الوراثيَّة، والنفسيَّة، والاجتماعيَّة– يساعد على حلِّ الكثير من التحدِّيات، والخلافات التي تطرأ بينهما نتيجة عدم فهْمهما لبعضهما البعض، والتي قد تصل لكثير من حالات الإحباط بسبب الفشل بالمقاومة، ورفض الطرف الآخر للتغيير، كما تركِّز الكتب المترجمة –في كثير من المواضع– على أن سرَّ التعاسة، والخلافات بين الأزواج؛ هو محاولة كلٍّ منهما تغيير الآخر، وترى أن الحل الأمثل في حالة عجْز أحد الزوجين عن تقبُّل الطرف الآخر، والتعايش معه كما هو؛ هو إنهاء الزواج بالطلاق؛ لأنَّ الاستمرار بالزواج على أمل التغيير أمرٌ لا يمكن تحقُّقه، وذلك بغضِّ النظر عن حجم الاختلاف، صغيرًا كان أو كبيرًا، فالعِبرة بتقبُّله، لا بحجمه(٢).

كذلك الأمر في التعامل مع الأبناء، وتربيتهم، فترى أنَّ كثيرًا من سلوكيات الأبناء يكون الحلُّ الأمثل لمواجهتها هو التعايُش معها، بمعنى أنَّه لا يمكن تغييرها في شخصية الطفل؛ لأنها في حقيقتها سِمات فِطريَّة له، وكلُّ فعْل يخضع لهذه السِّمات لا يمكن تغييره؛ ولِذا فمَهمَّة الوالدين هنا هي قيادة سلوك الأبناء في اتجاهات مختلفة، دون إغفالٍ لهذا الارتباط، وبناء على ذلك؛ فالسلوك المتمرِّد الناشئ عند بعض الأبناء ليس خطأً يُلام عليه الوالدان، ولا الأبناء، بل هو سلوك يلزم التعايش معه بتسامح، ومهما بلغت إخفاقاتهم في الصِّغر؛ فهي ستشكِّل لهم خِبرة حياتيَّة، تساعد على صقْل أفكارهم ومهاراتهم، بل حتى شعورهم بالانزعاج من الإخفاق؛ سيحقِّق لهم مُتعة الانتصار ولذَّته في المستقبل، فبخوض الابن للتجارب والإخفاق فيها، مع مُلازمة التقبُّل التامِّ من المجتمع لكلِّ ما يفعله، والتعايش معه بلا انتقاد؛ تتشكَّل طريقة استجابته للتحدِّيات في المستقبل(٣).

ثانيًا: نسبيَّة المعرفة:

تقوم النسبيَّة على مبدأ الشكِّ بصحَّة المعارف والآراء مهما كانت، فالمعرفة نِسبة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، ومقياس صحَّة السلوك نابع من الذات، فما هو

(١) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًّا، (ص: ٢٢)، والقتال من أجل زواجك، (ص:١٨٩)، ولا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٩١)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ١٦٥)، والمبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:٢٠٤)، والرجال من المريخ والنساء من الزهرة، (ص:٥٩–٧٤)، وكيف تصبحين زوجة مثاليَّة، جيه إس.سولت، (ص: ٢٥)، قواعد الحبِّ، ريتشارد تمبلر، (ص:١٢٤)، والقتال من أجل زواجك، هوارد جيه. ماركمان، سكوت إم ستانلي، سوزان إل.بلومبرج، (ص:٢٠).

(٢) ينظر: لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:١٩)، والرجال من المريخ والنساء من الزهرة، (ص:٢١)، ولماذا يتصادم المريخ والزهرة، (ص:٥٣)، وما بعد المريخ والزهرة، (ص:٢٩).قواعد الحبِّ، (ص: ٢٧)، ثمانية دروس لزواج أكثر سعادة، (ص:١)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ١٢١)..

(٣) ينظر: طفلك المتمرد ٨ خطوات لسلوك أفضل، (ص:٧٩)، و(ص:٩٥)، وعشر خطوات لتربية شبه مثالية للأبناء، (ص:٤٤)..

حقٌّ وعدل في عين شخص ربما لا يكون حقًّا وعدلًا في عين شخص آخر، ولا أحد يستطيع أن يجزِم بأنه هو صاحب الحقِّ والصواب.

والسبب في ذلك -برأيهم-: أنَّ العقل الإنساني لا يستطيع أن يحيط بكلِّ شيء، فمعتقدات كلِّ شخص ما هي إلَّا جزءٌ من الحقيقة الكلِّيَّة التي تتعدَّد جزئيَّاتها، ومفرداتها بتعدُّد زوايا النظر للموضوع المراد بحثه، وهذا الجزء من الحقيقة الذي يملكه الفرد قد يماثِل ما يملكه الآخر المختلِف، أو يقِلُّ عنه أو يزيد، ولكنه في النهاية يظلُّ جزءًا يزيده، ويُثريه، ولا يُلغيه.

لذلك ترى أنَّ على الإنسان أن يكون حياديًّا، مهما كانت آراء الآخرين سيِّئة بالنسبة له، فضلًا على أنه يَلزمُه الاعتراف بأنَّ كلَّ الآراء قابلة للدفاع عنها، وكلَّ الآراء متساوية، فلا أحد يمتلك الحقيقة، والجميع لديهم الحقُّ في حمْل ما يشاؤون من معتقدات، وتبنِّي ما يريدون من سلوك، فكلُّ شخص مسؤول عن أفكاره، ومعتقداته، والحقُّ حقٌّ عند حامِله فقط، والباطل باطلٌ عند ناقِده، فكلُّها بالمُجمل نِسبيَّة.

ثالثًا: تبادُل الأدوار، والتفكير بعقل المخالِف:

تؤكِّد الكتب المترجمة على أنَّه كلما كان لدى الإنسان قدرة على وضْع نفسه مكان الآخرين، ورؤية المواقف من وجهة نظرهم؛ ازدادت مهارته بالنظر للمواقف مِن زوايا مختلفة، وتمكَّن من تحليلها بشكل أنضج وأوسع، وأكثر مصداقيَّة، وبالتالي تزداد قدرته على فهْم احتياجات الآخرين، وتحقيق ما يريدونه من تقبُّل ورضا، وتفهُّم وتقدير، وتقديم للدعْم والمساعدة ، وممَّا يترتَّب على ذلك؛ ألَّا يحاول الإنسان تغيير الآخرين، أو نصْحهم، بل عليه الاكتفاء بتغيير طريقة تفكيره الشخصيَّة، وتقبُّل الآخرين بكلِّ ما يحملونه من اختلافات، وتبرز أهميَّة تبادُل الأدوار بشكل أكثر لدى الشخصيَّات التي تشعر أنَّ على الطرف الآخر الامتنان لها بشكل أكبر؛ لإيمانها بعِظم الدور الذي تقدِّمه لغيرها مقابل ما يُقدَّم لها؛ لأن استمراريَّة هذا الشعور يعرِّضها للإحباط والاستياء، والشعور بالظلم والاستغلال، وعدم التقدير، إضافة إلى أنَّ الطرف الآخر سيشعر بالتقليل من جهوده، فضلًا عن اضطراب العلاقة والقلق.

وكثيرًا ما تُعزِّز -الكتب المترجمة- أنَّ نِسبة كبيرة من المشاكل الأسريَّة ناتجة عن عدم تطبيق آليَّة تبادُل الأدوار، وروَت في ذلك معاناة كثير من الأزواج والزوجات ممَّن

تجاوزت أعمارهم الستين عامًا، وقد أمضَوا في زواجهم ما يقارب الأربعين عامًا، ورغم ذلك ما زالت تُؤثِّر فيها هذه الإشكالية، وتُعاني منها(١).

من الأمور العجيبة التي تبرز في كثير من الكتب المترجمة -تصريحًا أو تلميحًا- عند عرْضها لمعاناة الأزواج في فهْم بعضهم البعض؛ التأكيد على أنَّ أفضل صديق للإنسان هو كلْبه، وليس زوجه! لأنَّ الكلب دائمًا ما يسعَد لرؤية صديقه، وتستشهد على ذلك بأنه مهما مرَّ الإنسان بمشاغل أو بمشاكل فإنه لن يواجه أيَّ شكوى من كلبه لدى وصوله إلى المنزل!

المطلب الثاني: التواصل اللفظيُّ.

- **المقصود بالتواصل اللفظيِّ في الكتب المترجمة بالنظام الاجتماعي:**

عملية التبادل للآراء والأفكار وغيرها بين الأفراد والجماعات، فالمرسِل يحاول إيصال أكبر قدْر من معاني الرسالة عن طريق الألفاظ، والجُمل؛ لإشباع ضرورة عاطفيَّة اجتماعيَّة أساسيَّة، وهي حاجة الإنسان للشعور بأنه شخص محبوب، ومقبول ممَّن حوله من خلال تعبير الآخرين، وترى الكتب المترجمة أنَّ للتواصل اللفظيِّ أثرًا كبيرًا في نجاح العلاقات وقوَّتها، إلَّا أنَّ تحقيقه يتطلَّب الوعي الكامل، وبذْل الجهد، والإرادة المنظّمة لذلك، وتؤكِّد على أنَّ إشباع الحاجات المعنويَّة العاطفيَّة لدى الإنسان أصعب، وأعمق بكثير من إشباع الحاجات الجسدية التي يسهل إدراكها، ومن ثم تلبِيتها.

- **تطبيقات التواصل اللفظيِّ في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالنظام الاجتماعي:**

تظهر تطبيقات التواصل اللفظيِّ في كثير من الكتب المترجمة، ومن ذلك:

أولًا: التلطُّف بالحوار:

ترى الكتب المترجمة بمُجملها أنَّ الحوار أمرٌ ضروري في الحياة الاجتماعية، وأنَّه من أهمِّ وسائل نقْل الأفكار والمشاعر، ولكي يحقِّق أهدافه لا بدَّ من العناية بالأسلوب المستخدَم فيه، وأنَّ العناية بالحوار، ومهارات التواصل بين الزوجين يؤثِّر في أبعاد كثيرة من حياتهم، بداية من شعورهم باهتمام بعضهم ببعض، وُصولًا لإتقانهم مهارات التفاوض، وإدارة النقاش التي تحفظ حواراتهم من الانحراف، والتحوُّل إلى خِلاف وخصومة، وتؤكِّد كذلك على أنَّ اللُّطف في الحوار، والتعامل لا يعني تصنُّع الابتسامة، وإنما معاملة الطرف الآخر بما يحبُّ أن يُعامل به، وأنَّ أفضل طريقة لتعليم الآخرين

(١) ينظر: المبادئ السبعة الأساسية لإنجاح الزواج، (ص:١٠٢)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ١١٥)، وكيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظامًا، (ص:٢٦٥)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ٣٧)، وقواعد الحب، (ص:٨٠)، والعادات السبع للمراهقين الأكثر فعالية، (ص:٢١٤)، ولماذا يتصادم المريخ والزهرة، (ص: ٦٦)،

اللطافة؛ هي معاملتهم بها ابتداءً، فهي كالعدوى سريعة الانتشار بين الناس، بل حتى في تربية الأبناء يُعَدُّ التواصل ضروريًّا في كثير من الأسس التربوية، فبه يحصل التشجيع بتنمية مواطِن قوَّة الطفل، والتغلُّب على مواطِن ضعفه، ويساعد على تطوُّر نموُّه الفكري، والبدني والانفعالي، والاجتماعي والإبداعي، إضافة إلى أنَّه يرسِّخ الشعور بالاهتمام، والثقة بالنفس، وبأنهم أشخاص مميَّزون، يستحقُّون الكثير من الاهتمام، والفخر، خصوصًا أنَّ أوَّل معلِّم للطفل، وأهمَّ معلِّم على الإطلاق: الوالدان؛ فهما من ينقلان المعرفة، والخبرة، والقِيم لأبنائهم عن طريق التفاعل، والاتصال، وخَوض الحياة بكلِّ تفاصيلها مع أبنائهم(١).

الجدير بالذكر تأكيد الكتب المترجمة على أنَّ لكلِّ شخص أسلوب تواصل مختلف يُفضِّله، فربَّما يكون أحدهم أكثر تعبيرًا عن مكنوناته، والآخر أكثر تحفُّظًا، وربَّما يتحدَّث بعضهم بسرعة، والآخر ببطء، وهذه الأمور إن لم تُدرك، وتُفهم؛ فهي حتمًا ستسبِّب صعوبة في الفهم للآخر، والانسجام معه(٢).

▪ **من الأمور المُعِينة على تحقيق اللُّطف بالحوار -برأي الكتب المترجمة- ما يلي:** الحرص على التواصل البصريِّ أثناءه، فالتواصل البصريُّ يساعد العقل على عدم التشتُّت، ويجعل الطرف الآخر يشعر بالتركيز معه(٣)، وحُسن الاستماع، فهو يُشعِر المتحدِّث بأهميَّة حديثه، وفعاليَّته، وقُربه من الطرف الآخر، إضافة إلى أنَّه يجعل المستمِع يتعرَّف بشكل أكبر عليه، وهذا بلا شكٍّ يقلِّل من الخلافات، وإصدار الأحكام المبنيَّة على الظنِّ، والريِّبة، والتسرُّع، والجهل.

ومن أهم الأمور المُعِينة على حُسن الاستماع: تحقيق المعيَّة، والقُرب أثناء الحوار، ولا يُشترط أن يكون بالقرب المكانيِّ، وإنَّما بالتركيز الكامل مع الطرف الآخر، فمعظم الأشخاص الذين يشتكون من أنَّ أزواجهم لا يتكلَّمون معهم؛ لا يقصِدون -حرفيًّا- أنَّهم لا يتفوَّهون بكلمة إطلاقًا، بل مقصدهم أنهم نادرًا ما يشتركون في حوار يكونون فيه على تركيز تام (٤).

ممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ على المستمع مراعاة لغة الجسد في ذلك، فقد ترسَل رسائل سلبيَّة للطرف الآخر، تدلُّ على عدم اهتمامك، ومن أهم أسباب فشل التواصل بين

(١) ينظر: الأسرار السبعة للتربية المثالية، (ص:٢٠٥-٢٠٧)، والأولاد الذين يفكرون خارج المألوف، (ص:١٥)، وقواعد التربية، (ص:٥٤).
(٢) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًّا، (ص:١٨-١٩)، والقتال من أجل زواجك، (ص:١١٠).
(٣) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص: ٢٥)، ولغات الحب الخمسة، (ص:٥٣)، وقواعد التربية، (ص:١٦١)، وطفلك المتمرد ثمان خطوات لسلوك أفضل، (ص:١٤٣)، ولغات الحب الخمس التي يستخدمها الأطفال، (ص: ٦٠).
(٤) ينظر: لغات الحب الخمسة، (ص:٥٠-٥٣)، وقواعد الحب، (ص:١٤٨)، كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ١١٠).

الآباء والأبناء؛ هو أنَّ كثيرًا من الآباء يتحدَّثون كثيرًا، ويوجِّهون، ويكون استماعهم باتِخاذ المواقف الدفاعيَّة عن النفس، والهجوميَّة عليهم، وبالمقابل يفشلون في الاستماع إلى أبنائهم(١).

أ- مناقشة أسباب الخِلاف، فكثير من الخلافات يسهُل حلُّها عند مناقشتها باحترام، ولُطف قبل محاولة حلِّها، وبلا شكٍّ لا يمكن إيجاد حلول للمشكلة قبل مناقشتها، ومن آليَّات المناقشة: آليَّة المتحدِّث والمستمع، وإتاحة الفرصة لكلٍّ واحد منهما لإبداء ما لديه بلا مقاطعة؛ وفي ذلك إرساء لنوعيَّة النقاش الجيِّد، الذي يُحتاج إليه قبل محاولة إيجاد حلول للمشكلة، وفي كثير من الأحيان مناقشة المشكلة فقط كافٍ لحلِّها(٢).

ب- أن يكون التواصل اللفظيُّ مبنيًّا على التواصل الفكريِّ، ويُقصد بذلك: أن يُعرض ما بداخل النفس، وتُناقش الأفكار، ويكون الاتِّصال بالأفكار، والمعلومات المتبادَلة، ومن خلال هذا التواصل الفعَّال يستطيع الآباء أن يشجِّعوا تطوُّر أبنائهم الفكريَّ، وأن يغرسوا فيهم احترام الذات، ويقوِّموهم بالطريقة المُثلى(٣).

ت- أن يكون التواصل بين الزوجين مبنيًّا على الصداقة، فهي أفضل طريقة للحفاظ على العلاقة بين الزوجين، ومن أهمِّ آليَّاتها: التركيز على الأمور المشترَكة بينهما، وأهمها: الأهداف والقِيم، واحترام كلِّ واحد منهما للآخر، وإخلاصه له، فالشعور بالصداقة يحتِّم على كلا الطرفين دعْم الآخر، والتماس العذر له، وأن يكون معه في شدَّته وضيقه، قبل رخائه وسِعته، وبها يستطيعان الالتقاء في منتصف الطريق عند الاختلاف، دون الشعور بسلبيَّة التضحية أو التنازل.

أمَّا إن كان التواصل مع الأبناء؛ فترى العكس تمامًا، بمعنى أنها لا تؤيِّد بناء العلاقة مع الأبناء على أساس الصداقة، وترى أنَّ ذلك يؤدِّي إلى عدم احترام الأبناء لقيادة والديهم؛ لأنَّ مفهوم ومتطلَّبات الصداقة تختلف تمامًا عن مفهوم ومتطلَّبات قيادة الوالدين المربِّيَين، إضافة إلى رؤيتها بأنَّ الأصدقاء أشخاص مقرَّبون، بينهم رغبات متبادَلة، فيتقبَّلون الجوانب الجيدة والسيئة في شخصية أصدقائهم، أمَّا المربُّون فهم مَن يتولَّون الرعاية بالتعليم، والتوجيه، ووضْع القواعد، والقوانين للحياة(٤).

---

(١) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص:٦)، ولغات الحب الخمسة، (ص:٥٣)، وقواعد التربية، (ص:١٦١)، وطفلك المتمرد ٨ خطوات لسلوك أفضل، (ص:١٤٣)، ولا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:١٠٠)، والأولاد الذين يفكرون خارج المألوف، (ص:٩٥).

(٢) ينظر: عشرة دروس لتغيير حياتك الزوجية، (ص:٣٠)، القتال من أجل زواجك، (ص:١٨٩)، وكيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص: ١٥)، والأولاد الذين يفكِّرون خارج المألوف، (ص:١٣)، لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٢٢).

(٣) ينظر: كيف ينشئ الآباء الأكفَّاء أبناء عظامًا، (ص:١٦)، ولغات الحبِّ الخمس، (ص:٥٣)، والقتال من أجل زواجك، (ص:١٢٥).

(٤) ينظر: كيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص: ١١٥)، والأولاد الذين يفكرون خارج المألوف، (ص:٩٢)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ١٩)، والقتال من أجل زواجك، (ص:٢٣٣)، وكيف تنقذ علاقتك الزوجية من الانهيار، (ص:١٤٦)، عشر خطوات لتربية شبه مثالية للأبناء، (ص:١٣٥).

ممَّا تجدر الإشارة إليه كذلك أنَّ متطلَّبات الزوجة من زوجها في الكتب المترجمة تُركِّز كثيرًا على مهارات التواصل، وهذه المتطلَّبات لا تقتصر على عمر معيَّن، بل امتدَّت إلى زوجات تجاوزن في العمر ستين عامًا، وزواجهنَّ قائم لأكثر من أربعين عامًا، وهذا يدلُّ على أن هذه المتطلَّبات ضرورية جدًا بالنسبة لهنَّ، ومن شواهد ذلك: امرأة عمرها اثنان وستون عامًا، متزوِّجة منذ اثنتين وأربعين سنة، تقول: "أرجوك، بل أتوسل إليك ألَّا تُنهِ أيَّ نقاش يدور بيننا بأن تقول: "إنَّك غبيَّة، وقاسية، ولا تفهمين شيئًا"، وامرأة عمرها خمسون عامًا، ومتزوجة منذ اثنين وعشرين عامًا، ومطلَّقة منذ سبعة أعوام، تقول: "فكِّرْ فيما ستقوله قبل أن تتفوَّه به، فالكلمات في بعض الأحيان تجرح، وتؤذي المشاعر"، وامرأة أخرى عمرها ثمانية وستون عامًا، متزوِّجة منذ تسعة وأربعين عامًا، تقول: "لا تقُمْ بإحراجي، والسخرية منِّي أمام الآخرين" [(١)].

ثانيًا: التركيز على الإيجابيَّات، ونقاط الاتِّفاق:

عندما تكون المشكلة في مكان يسوده الاحترام، والقبول المتبادَل؛ يسهُل حلُّها مهما كبرت، أو تعقَّدت، فالخطوة السابقة لحلِّ أيِّ مشكلة هي مناقشتها، وتعزيز الأرضيَّة المشترَكة بين الأطراف، واستحضار الإيجابيَّات الكامنة في كلِّ شخصية، ثم استخدام تقنية المتحدِّث والمستمع؛ لإرساء نوعيَّة النقاش الجيِّد لحلِّها، في هذه المرحلة يكون الهدف من التواصل هو إيجاد حلول متَّفَق عليها، فقيمة البحث عن نقاط الاتِّفاق ضرورية وأساسية، والتحدُّث حول أسباب الخلافات قبل محاولة حلِّها يُسهِّل الوصول إلى حلول أفضل، يلتزم بها الطرفان عن اقتناع وفهْم، ففهْم وجهة نظر شريك الحياة هو السبيل الأجود؛ لإيجاد أفضل الحلول[(٢)].

ممَّا تجدر الإشارة إليه تأكيد الكتب المترجمة على أهميَّة اعتناء الوالدين، ومصداقيَّتهم باختيار كلمات التشجيع التي يوجِّهونها لأبنائهم، وأن تكون فعلًا نقاط قوَّة لديهم؛ لأنَّ الهدف من ذلك هو تدريب الأبناء على القيام بأفعال جيدة، ثم الثناء عليهم مقابل ذلك، ولهذا أثر كبير في تقوية إرادتهم، وتنشئتهم واثقين من أنفسهم، وإنجازاتهم، ومن هنا يتجلَّى الفرق بين طُرق التربية القديمة التي تسعى لتنشئة أطفال مطيعين، والتربية الإيجابيَّة التي تسعى لتنشئة أطفال ذوي إرادة قويَّة ومتعاونين[(٣)].

---

(١) ينظر للاستزادة:كيف تصبح زوجا مثاليًا، (ص:١٢-٨٤).

(٢) ينظر: كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٣١)، وكيف تصبح زوجًا مثاليًا، (ص:١٣)، وكيف تصبحين زوجة مثالية، (ص: ١١)، ولغات الحب الخمسة، (ص:٣٨)، والقتال من أجل زواجك، (ص:١٨٩-١٩٣)، قواعد الحب، ريتشارد تمبلر، (ص: ٦٨)، وقواعد التربية، (ص:١٣٢).

(٣) ينظر: الأطفال من الجنَّة، د.جون جراي، (ص:١٥٥)، وعشر خطوات لتربية شبه مثاليَّة للأبناء، د.ماري إلين، (ص:١٨)، ولغات الحبِّ الخمس التي يستخدمها الأطفال، جاري تشابمان وروس كامبل، (ص: ٤٧)، وحاولْ أن تروِّضني، راي ليفي وبيل أوهانلون، (ص:٩٥).

ثالثًا: العناية بالشكر، والتقدير:

ترى الكتب المترجمة أنَّ أعمق حاجة للإنسان هي حاجته للتقدير، وتؤكِّد بأنَّ كلمات التقدير والتشجيع تُلبِّي جزءًا كبيرًا من هذا الاحتياج، وتساعد كذلك على استقرار أيِّ علاقة[١]، بالمقابل تميل بعض الكتب إلى أنَّ تربية النفس على الرضا والقناعة بما لديها؛ يجعلها تصل إلى درجة عالية من الطمأنينة والامتنان، والشكر والتقدير، وبالتالي تحقِّق السلام الأسريَّ، والحياة المتَّزنة السعيدة، ويُلاحَظ ربْطها بين الإشكاليَّة الكبيرة في ضعْف مستوى الشكر عند الناس وبين تغيُّر العالم السريع؛ للسعي نحو الأفضل وازدراء ما في اليد، والشعور الدائم بأنَّ هناك أعمالًا أفضل ممَّا يُقدم لهم، وأزواجًا وزوجات وأبناء أفضل ممَّا يملكون، وإن كان غالبًا ما يملكه الإنسان –في الحقيقة– أفضل بكثير ممَّا لدى غيره، وأنسب له، ويلاحظ تركيزها كذلك على أنَّ اللَّباقة، وحُسن التصرُّف ليست حصْرًا، وقصْرًا في التعامل مع الغرباء فحسب، بل إن الأوْلى والأهمُّ التزامها بذلك مع الزوجة والأبناء، فهي مؤشِّر عالميٌّ، يدلُّ على احترام الفرد للمساهمات التي يقدِّمها الأقربون له [٢].

وممَّا يُلاحظ –أيضًا– عنايتها بجانب القدوات الوالديَّة، ورؤيتها بأنَّ أهمَّ مصدر يَستقي الأبناء منه سلوكياتهم هو الاقتداء بوالديهم، من خلال مراقبتهم في كلِّ تفاصيلهم؛ فالتربية في حقيقتها لا تعني أن يكون للابن والدان فحسب، بل لا بدَّ أن يكونا كذلك قائدَين، ومرشدَين في حياة أبنائهما، فالأبناء يحتاجون أن يرَوا التعليمات التي يُؤمَرون بها مطبَّقة فعلًا من والديهم.

ممَّا يُلاحظ كذلك: تنوُّع الآراء فيما يتعلَّق بمعاقبة الأبناء على تجاوزاتهم، وعدم امتثالهم لوالديهم على رأيين مختلفين، بين ضرورة استخدام السُّلطة الأبويَّة بالتأديب، ووضْع الخطوط الإرشاديَّة للسلوك، وبعد ذلك مساعدة الأبناء للعيش بضوئها، وألَّا يكون هناك مساومة أو نقاش طويل حولها، وبين ذمُّ العقاب بكلِّ تفاصيله، التخويف يجعل من الوالدين عدوَّين لأبنائهما، بدلًا من أن يكونا ملجأً وسندًا، وإن كان بعض الآباء يلجؤون إليه وهم كارهون له[٣]، وهذا الاختلاف والتناقض بين الآراء ناتج عن تزعزُع واختلال المرجعيَّة، والاعتماد على الآراء البشريَّة، والاجتهادات الشخصيَّة في كلِّ ما يتعلَّق بهذه الأنظمة، وهذا من أهم الآثار السلبية للاعتماد على الأنظمة الوضعيَّة، البشريَّة.

---

(١) ينظر: لغات الحبّ الخمس، جاري تشابمان، (ص:٣٣)، وكيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، تشارلي ماريكز ومايك براون، (ص: ١١٢).

(٢) ينظر: لا تهتم بصغائر الأمور في العلاقات الزوجية، (ص:٢٧)،كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص: ٣٨) و(ص: ١٠٩)، ولغات الحبّ الخمس، (ص:٥٠)، وكيف تصبحين زوجة مثاليّة، (ص: ١٠)، حاولْ أن تروِّضني، (ص:٧٤)، وعشر خطوات لتربية شبه مثاليّة للأبناء، (ص:٧).

(٣) ينظر: لغات الحبّ الخمس التي يستخدمها الأطفال، (ص: ١١٨)، وعشر خطوات لتربية شبه مثاليّة للأبناء، (ص:٢)، الأطفال من الجنة، (ص:١٣٨).

الفصل الثاني: النظام الأسري في الكتب المترجمة إلى اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية بضوء الثقافة الإسلامية

المبحث الأول: ما وافق الثقافة الإسلامية

المطلب الأول: التواصل الأسريُّ.

تتَّفق الكتب المترجمة مع الثقافة الإسلامية في اهتمامها، واعتنائها بجانب التواصل الأسريِّ، إلَّا أنَّ بينهما تبايُنًا في مفهوم التواصل الأسريِّ، ففي الكتب المترجمة اقتصر المفهوم على التواصل بين الزوجين والأبناء، بينما في الثقافة الإسلامية المفهوم أوسع وأشمل، فهو يرتكز على ثلاثة ركائز أساسيَّة، وهي: التواصل مع الوالدين، والتواصل بين الزوجين والأبناء، والتواصل مع ذوي القُربى، وفيما يلي بيانها:

أولًا: التواصل مع الوالدين: إنَّ التواصل مع الوالدين أهمُّ ركائز التواصل الأسري في الثقافة الإسلامية؛ لأنه دليل من دلائل البرِّ بهما، والإحسان إليهما، ومن المعلوم أن البرَّ بالوالدين في الثقافة الإسلامية يُعدُّ من أهمِّ المهمَّات، وأعظم القُربات، وأجلِّ الطاعات، وأوجب الواجبات، ولِفضْله، ووجوبه شواهد عديدة من الكتاب والسنَّة، ومنها:

أ- قرن الله -ﷻ:- حقَّ الوالدين، والإحسان إليهما بعبادته - ﷻ-، وهذا يدلُّ على شدَّة تأكُّد حقِّهما، والإحسان إليهما قولًا وفعلًا؛ يقول - ﷻ-: {وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا} [النساء:٣٦].

ب- برُّ الوالدين أعظم، وأفضل من الجهاد في سبيل الله - ﷻ-؛ لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى نبيِّ الله -ﷺ- فقال: ((أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حيٌّ؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: "فارجعْ إلى والديك، فأحسِن صُحبتهما))[1]

ت- أحبُّ الأعمال إلى الله - ﷻ- بعد الصلاة، التي هي عماد الدين برُّ الوالدين، لحديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: ((سألت النبيَّ -ﷺ-: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أيٌّ؟، قال: ثم برُّ الوالدين، قلت: ثم أيٌّ؟، قال: ثم الجهاد في سبيل الله، قال: حدَّثني بهنَّ، ولو استزدْته لزَادني))[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٣٠٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٢٥٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥٢٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٨٥).

ث- عقوق الوالدين من أعظم الكبائر، بل قرَنه النبي -ﷺ- بالشرك بـالله -ﷻ-، فعن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ -ﷺ-: ((أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزُّور، وشهادة الزُّور، وشهادة الزُّور -ثلاثًا-، أو: قَول الزُّور))، قال الراوي: فما زال يكرِّرها حتى قلنا: ليتَه سكتَ[1].

ج- جزاء الوالد عزيز، وقد بيَّن رسول الله -ﷺ- كيف يُجازي الولد والده في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: ((لا يَجزي ولدٌ والدًا إلَّا أن يجدَه مملوكًا، فيشتريه، فيعتقه)) [2].

ثانيًا: التواصل مع ذوي القُربى: إنَّ التواصل مع ذوي القربى من أبرز حقوقهم التي تميَّزت الثقافة الإسلامية بحِفظها، ورعايتها، فبه تستقيم بيوت المسلمين، وتكتمل الأُلفة، والمحبة، والمودَّة، والرحمة بينهم، وقد أوصَى الله -عز وجل-، ونبيَّه -ﷺ- به العباد، ولذلك شواهد عديدة من الكتاب، والسنَّة، ومنها:

أ- عظَّم الله -ﷻ- قدْر الأرحام، فقال -ﷻ-: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١} [سورة النساء:١]

ب- أمر الله -ﷻ-: بالإحسان إلى ذوي القُربى، وعطَفه على توحيده وبرِّ الوالدين، يقول -ﷻ-: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ} [البقرة:٨٣]

ت- صِلة الرَّحم سبب لدخول الجنَّة، لحديث أبي أيوب الأنصاري؛ أنَّ رجلًا سأل رسول الله -ﷺ- عن عملٍ يُدخِله الجنَّة، ويُباعِده من النار؟ فقال -ﷺ-: ((تعبد الله، لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصِلُ الرحِم))[3]، وبالمقابل فإنَّ قطْع الرحِم سبب لمنْع دخول الجنَّة، يقول -ﷺ-: ((لا يدخل الجنَّة قاطِع))[4].

ثالثًا: التواصل بين الزوجين، والأبناء: يُعدُّ التواصل بين الزوجين، والأبناء هو التواصل الوحيد الذي حظِي بتركيز، واهتمام الكتب المترجمة في المجال الأسري، ومن المعلوم أنَّه -التواصل بين الزوجين والأبناء- قد حظِي بسبْق اهتمام الثقافة الإسلامية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٢٦٥٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٨٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٥١٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (١٣٩٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٣).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥٩٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٢٥٥٦).

قبل الكتب المترجمة، بل إنَّ الثقافة الإسلامية تميَّزت بمنْحه صِبغة الإلزام، ووجوب الالتزام به بالأمر، والحقِّ الشرعيِّ، وأقامته على مبدأ المُعاشرة بالمعروف.

▪ **عناية الإسلام بالتواصل بين الزوجين، والأبناء، والنُّصوص الدالَّة على ذلك من القرآن، والسنَّة:**

جاءت نصوص شرعيَّة، عديدة في العناية بالتواصل بين الزوجين، والأبناء، وضوابط، وآليَّات ذلك، ومنها:

أولًا: أودع الله -ﷻ- المودَّة، والرحمة في قلب كلِّ زوج، وزوجة، وفطَرهم عليها، وهذه من آياته -ﷻ-، يقول -ﷻ-: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [سورة الروم:٢١]

ثانيًا: عموم قوله ﷻ: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ } [النساء:١٩]، وهذا يشمل المعاشرة القوليَّة، والفعليَّة، أي: طيِّبوا أقوالكم، وحسِّنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قُدراتكم، وابذُلوا بإحسان، فكما تحبُّون أن يُفعل لكم؛ فافعَلوا.

ثالثًا: مِعيار الخيريَّة في حُسن العِشرة للأهل، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال -ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[(١)].

▪ **شواهد من السِّيرة النبويَّة، والسَّلَف الصالح على التواصل الأسريِّ بين الزوجين، ومع الأبناء:**

أولًا: كان -ﷺ- جميل العِشرة، دائم البِشْر، يُداعِب أهلَه، ويتلطَّف معهم، ومن ذلك: مارَوتْه عائشة -رضي الله عنها- قالت: إنها كانت مع النبي -ﷺ- في سَفر، قالت: فسابقتُه، فسبقتُه على رِجلي، فلمَّا حملتُ اللَّحْم؛ سابقتُه فسبقَني، فقال: ((هذه بتلك السَّبْقة))[(٢)].

ثانيًا: تعامُل النبيِّ -ﷺ- مع ضعْف المرأة، وغيرتها، عن أنس -رضي الله عنه- قال: ((كان النبيُّ -ﷺ- عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصَحفة فيها طعام، فضربت التي النبيُّ -ﷺ- في بيتها يدَ الخادم، فسقطتْ الصحفة، فانفلَقتْ، فجمَع النبيُّ -ﷺ- فِلَق الصفحة، ثم جعل يجمَع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: "غارتْ أمُّكم"، ثم حبسَ الخادم، حتى أُتِيَ بصحفة مِن عند التي هو في بيتها،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٨٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، رقم الحديث: (٢٥٧٨)، وقال الألباني: إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٣١).

فدفَع الصحفة الصحيحةَ إلى التي كُسِرتْ صحفتُها، وأمسكَ المكسورة في بيت التي كَسَرَت))[1].

ثالثًا: مراعاته –ﷺ– للتغيُّرات النفسيَّة التي تمرُّ بها المرأة، وتهدئته لها، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخل عليَّ رسول الله –ﷺ– بسرف، وأنا أبكي، فقال: ((ما لك؟ أنفِستِ؟)) قلتُ: نعم، قال: ((هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، اقضي ما يقضي الحاجُّ، غير أن لا تطوفي بالبيت))[2].

المطلب الثاني: العناية بالقدوة.

تُعدُّ القدوة من أرقى أساليب التربية التي تؤثِّر بشكل فعَّال في تكوين اتجاهات الشخصيَّة الفكرية، وتحديد أنماط سلوكها، ومراحل تطوُّرها، وهي من الأمور التي وافقت فيها كثير من الكتب المترجمة الثقافة الإسلامية، وإن كان السبْق في ذلك للثقافة الإسلامية بلا شكٍّ، وممَّا يُلاحظ اهتمام الثقافة الإسلامية بالتركيز على ركيزتين أساسيَّتين في أمر القدوة، وهما: الأولى: تحقيق التوافق بين التعاليم الشرعيَّة –كعلوم نظريَّة–، وبين الجانب العمليِّ السلوكيِّ لها ببْعث النبيِّ –ﷺ– قدوة بشريَّة، وحقيقة واقعيَّة أمام البشر جميعًا؛ فالنبيُّ –ﷺ– هو القدوة التي تُترجم المنهج الإسلامي إلى حقيقة، وواقع، يقول –ﷻ– في ذلك: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [سورة الأحزاب:٢١]، والثانية: تحقيق التوافق بين المبادئ النظرية التي يعتقدها المؤمن، وسلوكه العمليِّ، وهو ما يتعلَّق بإصلاح النَّفس، يقول –ﷻ–: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣} [سورة الصف:٢-٣]، فالمربِّي محطُّ أنظار أبنائه، ومحلُّ مراقبتهم، وموضِع اهتمامهم، وعليه فلا ينبغي أن تقع أعينهم منه على مظهر غير محمود، أو مسلَك مرفوض، وهذا الأمر يتطلَّب منه أن يكون قدوة صالحة في شتَّى الجوانب، وأُسوة حسنة في كلِّ شيء تضمَّنته تربيته، ومن دلائل التكامل بين هذين الجانبين سورة العصر بإيجازها، وإعجازها، يقول –ﷻ–: {وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ } [العصر:١-٣]، فلا تربية حقيقة دون قدوة، وأُسوة؛ ولذا كان إبراهيم –عليه السلام– يشمل نفسه في كلِّ دعاء يدعوه لأبنائه، ومن ذلك قوله –ﷻ– على لسانه: {وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥}، وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٢٩٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٢١١).

حاجة الناس إلى القدوة نابعة من غريزة تكمُن في نفوس البشَر، وترتكز على ثلاثة عناصر، وهي:

أولًا: الرغبة في المحاكاة، والاقتداء، فالطفل -خصوصًا- مدفوع برغبة خفيَّة، لا يشعر بها، نحو محاكاة مَن يُعجَب به في طريقة الحديث، وأسلوب الحركة، والمعاملة، ومعظم عادات السلوك، دون أن يقصِد، وهذا التقليد غير المقصود لا يقتصر على حسنات السلوك، بل يتعدَّاها إلى غيرها، فالشخص المتأثِّر يتقمَّص شخصية المؤثِّر كلَّها، أو جُلَّها بدون أن يشعر؛ ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك القدوة؛ لأنه بذلك يحمل وزر مَن يقلِّده فيها، ومن هنا نبَّه القرآن الكريم الآباء إلى أنَّ الاهتمام بالأطفال، والحنان والعطف عليهم؛ يجب ألَّا يشغلهم عن أن يكونوا قدوات صالحة لهم، يقول -ﷻ- في ذلك: {وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾} [سورة الفرقان:٧٤]، فوصف عباد الرحمن بأنهم يرغبون في أن تقرَّ أعينُهم بالزواج والولد، كما يرغبون في أن يكونوا قدوة، وأئمَّة،

ثانيًا: الاستعداد للتقليد، فلكلِّ مرحلة من مراحل العمر استعداداتها، وطاقاتها المحدودة؛ لذلك لم يأمر الإسلام الأطفال بالصلاة قبل سنِّ سبع سنين، وإن كان الطفل منذ سنٍّ مبكِّر يبدأ بتقليد والديه بحركات الصلاة، وتفاصيلها؛ إلَّا أنه لم يُؤمر وجوبًا.

ثالثًا: الهدف، فلكلِّ تقليد هدف، قد يكون معروفًا لدى المقلِّد، وقد لا يكون، وإن كان الهدف الأوَّل من غريزة التقليد، والانقياد لدى الأطفال، والجماعات يصبُّ في الغرض الدفاعيِّ، أيْ طلبًا للأمان، وكأنَّه يستظلُّ بظلِّ الشخص القويِّ، المرموق، فإذا ارتقى الوعي عند المقلِّد؛ أصبح هذا التقليد عمليَّة فكريَّة، يمتزج فيها الوعي بالانتماء، والمحاكاة بالاعتزاز، ويصبح له بصيرة، ومعرفة بالغاية، وفي هذا المعنى يقول -ﷻ-: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾} [سورة يوسف:١٠٨].

▪ عناية الإسلام بالقدوة الصالحة، والنصوص الدالَّة على ذلك من القرآن، والسنَّة:

جاءت نصوص شرعيَّة، عديدة في العناية بالقدوة، وضرورة الاقتداء بأهل الخير، والفلاح، ومن ذلك:

أولًا: توجيه الله -ﷻ- لرسوله -ﷺ- بالاقتداء بهدْي مَن سبقه من الرسل، يقول -ﷻ-: {أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾} [سورة الأنعام:٩٠].

ثانيًا: توجيه الله –ﷻ– المؤمنين بالاقتداء بنبيِّه محمد –ﷺ–، يقول –ﷻ–: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [سورة الأحزاب:٢١].

ثالثًا: أمر النبيُّ –ﷺ– أمَّته بالاقتداء بالخليفتين الراشدين: أبي بكر، وعمر –رضي الله عنهما– ففي الحديث: ((اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي؛ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ))(١).

▪ **تحذير الإسلام من القدوة الفاسدة، المضلِّلة، والنصوص الدالَّة على ذلك من القرآن، والسنَّة:**

جاءت نصوص شرعيَّة عديدة في التحذير من القدوة المُضِلَّة المُضلِّلة، وضرورة الحذر منها ومن وَبَالها، ومن ذلك:

أولًا: أمر الله –ﷻ– عباده بقراءة الفاتحة في كلِّ ركعة من صلواتهم، وفيها الدعاء بالاهتداء لطريق الصالحين، والابتعاد عن طريق المغضوب عليهم، والضالِّين، يقول ﷻ: {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾} [سورة الفاتحة:٦–٧]، يقول ابن تيمية –رحمه الله–في ذلك: "إنَّ الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإنَّ ما يقوم بالقلب من الشعور والحال؛ يوجِب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال؛ يوجِب للقلب شعورًا وأحوالًا، والأمر بمخالفة المغضوب عليهم والضالِّين في الهدْي الظاهر لأمور، منها: ...أنَّ المشاركة في الهدْي الظاهر تُورِث تناسُبًا وتشاكُلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة مافي الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإنَّ اللَّابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابِس لثياب الجنْد المقاتِلة –مثلاً– يجد من نفسه نوع تخلُّق بأخلاقهم، ويصير طبْعه متقاضيًا لذلك، إلَّا أن يمنعه مانع، ومنها: أنَّ المخالفة في الهدْي الظاهر؛ توجِب مُبايَنة، ومُفارقة توجِب الانقطاع عن مُوجِبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهُدى، والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين، وأعدائه الخاسرين"(٢).

ثانيًا: ذمَّ الله –ﷻ– كفَّار الأقوام السابقة؛ لاقتدائهم بضلال آبائهم، يقول ﷻ: {وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة الزخرف:٢٣].

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٨٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (١٢٣٣).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (٢١/٣).

ثالثًا: ذمَّ النبيُّ -ﷺ- مَن يتَّبع أهل الضلال، ويقتدي بهم، ففي الحديث يقول -ﷺ-: ((لتتبعنَّ سَنَنَ مَن قبلكم شِبرًا بشِبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضبٍّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود، والنصارى؟ قال: فمَن!))[1].

رابعًا: القدوة السيِّئة يحمل وِزْر كلِّ مَن اقتدى به إلى يوم القيامة، يقول -ﷺ-: ((مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة، فعُمل بها بعده؛ كُتِب له مثلُ أجر مَن عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة، فعُمِل بها بعده؛ كُتِب عليه مثلُ وِزْر مَن عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء))[2].

▪ **شواهد من السيرة النبويَّة، وعمل السَّلَف الصالح على أثَر القدوة في التربية:**

أولًا: لمَّا صدَّ المشركون الرسول -ﷺ-، وأصحابَه عن البيت الحرام، حين أرادوا العمرة عام الحديبية، وبعد إبرام الصلح مع قريش؛ كان وقْع ذلك عظيمًا على صحابة رسول الله -ﷺ-، فلمَّا أمرهم -عليه السلام- بنحْر ما معهم من الهَدْي ليُحِلُّوا من إحرامهم؛ لم يستجبْ أحد من الصحابة لهذا الأمر، ففي حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه: ((قوموا، فانحروا، ثم احلقوا))، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلمَّا لم يقمْ منهم أحد؛ دخل على أمِّ سلمة، فذكر لها ما لقي، فقالت أمُّ سلمة: ((يا نبيَّ الله، أتحِبُّ ذلك! اخرجْ، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بُدنَك، وتدعو حالِقَك فيحلِقك، فخرج، فلم يكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه، ودعا حالِقه، فحلقه، فلمَّا رأوا ذلك؛ قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلِق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا))[3]، وفي هذه القصة دلالة ظاهرة على التفاوت الكبير بين تأثير القول وتأثير الفعل.

ثانيًا: قصة ابن عباس -رضي الله عنهما-، لمَّا قام الليل مع النبيِّ -ﷺ- يقول -رضي الله عنهما-: ((بتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فنام النبيُّ -ﷺ-، فلمَّا كان في بعض الليل قام رسول الله، فتوضَّأ من شنٍّ مُعلَّق وضوءًا خفيفًا، ثم قام يصلي، فقمتُ، فتوضأت نحوًا ممَّا توضأ، ثم جئتُ، فقمتُ عن يساره، فحوَّلني، فجعلني عن يمينه، ثم صلَّى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام))[4]، فابن عباس -رضي الله عنه- وهو غلام صغير، بمجرَّد أن رأى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٧٣٢٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٢٦٦٩).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٠١٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٢٧٣١).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (١٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٧٦٣).

النبيَّ –ﷺ– توضأ، وقام للصلاة؛ قام هو أيضًا من غير أن يأمره النبيُّ –ﷺ– بشيء، وتوضأ، وصلَّى معه.

ثالثًا: كان الصحابة أجمع يحرصون على الاقتداء برسول الله –ﷺ–، وتقليده، ومحاكاته في جميع أموره؛ في وضوئه، وصلاته، وقراءته للقرآن، وقيامه، وجلوسه، وكرمه، وجهاده، وزهده، وأمانته، وصبره... إلخ(١).

رابعًا: قصة عتبة بن أبي سفيان حين أوصى مؤدِّب ولده فقال: "ليكنْ أوَّل إصلاحك لبُنيِّ إصلاحَ نفسك، فإنَّ عيوبهم معقودة بعيبك، فالحسَن عندهم ما فعلتَ، والقبيح ما تركتَ، علِّمهم كتاب الله، ولا تُملهم فيكرهوا، ولا تدعهم منه فيهجروا، ورَوِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفَّه، ولا تُخرِجهم من باب من العلم إلى غيره حتى يُحكِموه، فإنَّ ازدحام الكلام في السمع مضلَّة للفهْم، تهدَّدهم بي، وأدِّبهم دُوني، وكنْ لهم كالطبيب الرفيق، الذي لا يعجِّل بالدواء حتى يعرف الداء"(٢)، وهذا يؤكِّدُ أنه لا سبيل إلى التربيةِ السليمةِ إلَّا بوجود قُدوةٍ صالحةٍ، تغدو نموذجًا عمليًّا للامتثال للأوامر، والاستجابة لها، وترْك النواهي، والامتناع عنها، إضافة إلى أنَّه من المعلوم أنَّ الدين الإسلامي انتشر في كثير من البلاد نتيجة التعرُّف عليه من خلال سلوك التجَّار المسلمين، وطيب أخلاقهم؛ حيث كانوا مثالًا صادقًا للدعوة، والاقتداء.

المبحث الثاني: ما خالف الثقافة الإسلامية

المطلب الأول: المساواة المطلَقة.

المساواة أصل تميل إليه النفس البشرية؛ وذلك لاشتراكها في كثير من مفاهيمها مع الحريَّة، إلَّا أنَّ مصطلح (المساواة) من المصطلحات المُجمَلة، التي تحتوي على إشكالات منهجيَّة كثيرة، وذلك لأسباب، منها:

السبب الأول: كثرة تداول هذا المصطلح، وتنوُّع المجالات التي يُستعمل فيها، "والاسم كلَّما كثُر التكلُّم فيه، فتُكلِّم به مطلقًا، ومقيَّدًا بقَيد، ومقيَّدًا بقَيد آخر في موضع آخر؛ كان هذا سببًا لاشتباه بعض معناه، ثم كلَّما كثُر سماعه؛ كثُر مَن يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك: أن يَسمع بعض الناس بعض موارِده، ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيَّدًا بقَيد أوجبه اختصاصه بمعنى، فيُظنُّ معناه في سائر موارده كذلك؛ فمَن اتَّبع عِلمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلِم ما أُخذ لشبه؛ أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه،

(١) منعًا للإطالة، يرجع للتفصيل إلى مضانه.

(٢) تاريخ دمشق، أبو القاسم ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الطبعة الأولى، (٣٨/ ٢٧١).

وعلِم أنَّ خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتمُّ من بيانه؛ وأنَّ ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه؛ أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه"(١).

السبب الثاني: أنه من الألفاظ المُجمَلة، المشتمِلة على حقٍّ وباطل، "فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المُجمَلة، والمعاني المشتبَهة، ولا سيِّما إذا صادفت أذهانًا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوىً وتعصُّب!"(٢)، "فالألفاظ المُجمَلة المتشابهة، المشتمِلة على حقٍّ وباطل؛ في إثباتها إثبات حقٍّ وباطل، وفي نفْيها نفْي حقٍّ وباطل، فيمنع من كلا الإطلاقين، بخِلاف النصوص الإلهيَّة؛ فإنَّها فُرقان فرَّق الله بها بين الحق والباطل، ولهذا كان سلَف الأمَّة، وأئمَّتها يجعلون كلام الله، ورسوله هو الإمام والفُرقان الذي يجب اتِّباعه، فيُثبِتون ما أثبته الله ورسوله، وينفُون ما نفاه الله ورسوله، ويجعلون العبارات المحدثة المجمَلة، المتشابِهة ممنوعًا من إطلاقها: نفيًا وإثباتًا، فلا يُطلِقون اللَّفظ ولا ينْفونه إلَّا بعد الاستفسار والتفصيل، فإذا تبيَّن المعنى؛ أُثبِت حقُّه، ونُفِي باطلُه، بخِلاف كلام الله، ورسوله؛ فإنَّه حقٌّ يجب قبوله، وإن لم يُفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يُفهم معناه"(٣).

- **عندما يُنظر لموضوع المساواة من منظور الثقافة الإسلامية؛ يُلاحظ ما يلي:**

أنَّ أوَّل إعلان للمساواة في تاريخ البشريَّة جاء به الإسلام بعظَمته، وسموِّ شريعته، لتأكيد أنَّ كلَّ إنسان ذكرًا كان أو أنثى هو أهْل لثبوت الحقوق، وتحمُّل الواجبات، وأنَّه مساوٍ لغيره في جوانب أساسية كثيرة، وتفاصيل عديدة، منها:

أولًا: المساواة في أصل الخِلْقية: فالرجل والمرأة متساويان في أصل الخلْق، وفي نِسبتهما للبشرية، فليس لأحدهما من مقوِّمات الإنسانية أكثر ممَّا للآخر، فالناس جميعًا خُلِقوا من أصل واحد، وهو التراب، قال ﷻ: {ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧} [سورة السجدة:٧]، ومنحدِرون من أب واحد، وأمٍّ واحدة، قال ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ} [سورة الحجرات:١٣]، ومن هنا تظهر المناسبة بين وِحْدة النوع، ووِحْدة الاعتقاد، فالخلْق واحد، وخُلِقوا لغاية واحدة، وهي العبادة، يقول ﷻ: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [سورة الذاريات:٥٦]،

ثانيًا: المساواة في مجال المسؤوليَّة، والجزاء: ساوى الإسلام بين المرأة والرجل بأصل التكاليف الشرعيَّة، ومن حيث الثواب والعقاب، والجزاء على العمل في الدنيا

(١) مجموع الفتاوى، (٧/ ٣٥٦).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (٣/ ٩٢٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، (٤٢/١).

والآخرة، قال ﷻ: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل:٩٧].

ثالثًا: المساواة في الشؤون المدنيَّة: إنَّ الحقوق المدنيَّة –بمختلف أنواعها– لا تختلف فيها حقوق المرأة قبل الزواج عن بعده، فقبل الزواج تكون للمرأة شخصيَّتها المدنيَّة، المستقلَّة عن شخصيَّة وليِّ أمرها، فإن كانت بالغة؛ يحقُّ لها أن تتعاقد وتتحمَّل الالتزامات، وتملك العقارات، وتتصرَّف فيما تملك، ولا يحقُّ لوليِّها أن يتصرَّف في أملاكها إلَّا بإذْنها، كما يحقُّ لها أن توكِّل، وأن تفسخ الوكَالة، إضافة للحقِّ الكامل بمباشرة العقود المدنيَّة من بيع وشراء، وأن تضمن غيرها وأن يضمنها غيرها، كما أُبيح للرجال كلُّ هذه الأمور، وبعد الزواج يكون لها كذلك شخصيَّتها المدنيَّة الكاملة، فلا تفقد اسمها، بل تحتفظ به، وباسم أسرتها، وتستمرُّ أهليَّتها في التعاقد، والتملُّك، وكامل الحقوق، كما أباح لها الإسلام أن تختار الزوج الذي تريده، وحرَّم تزويجها بغير رضاها بكرًا كانت أو ثيِّبًا، يقول –ﷺ–: ((لا تُنكَح الأيِّم حتى تُستأمَر، ولا تُنكَح البِكْر حتى تُستأذَن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذْنها؟ قال: أن تسكتَ))[(١)]، وعليه فالإسلام ساوى بين الجنسين في أسس الحياة الدنيويَّة والآخرويَّة؛ لأنَّ الأصل في المساواة بينهما اشتراكهما بمناط التكليف، فيشتركان بما اشتركا فيه، ويختلفان بما اختلفا فيه وِفْق العِلل، والمعاني، والأحكام، فاستحضار الصفات، والعِلل، والمعاني شرْط أساسيٌّ، ينبَني عليه الحُكم في مسائل المساواة بين المختَلِفَين؛ للوصول إلى الحكم الصحيح، ومن ذلك مسائل المساواة بين الجنسين، "وذلك من كمال الشريعة الإسلامية، وحِكمتها، ولُطفها؛ فإنَّ مصلحة العبادات البدنيَّة، ومصلحة العقوبات؛ الرجال والنساء مشتركون فيها، وحاجة أحد الصِّنْفين إليها كحاجة الصِّنْف الآخر؛ فلا يليق التفريق بينهما، نعم، فرَّقت بينهما في أضيق المواضع بالتفريق؛ وهو الجمعة، والجماعة، فخُصَّ وجوبهما بالرجال دون النساء؛ لأنهنَّ لسن من أهل البروز، ومخالطة الرجال؛ وكذلك فرَّقت بينهما في عبادة الجهاد التي ليس الإناث من أهلها، وسوَّت بينهما في وجوب الحجِّ؛ لاحتياج النوعين إلى مصلحته..."[(٢)]، وعليه فكلُّ مساواة تقود لعدْل؛ فهي مساواة عادلة منطقيَّة توافِق الدِّين، والعقل والفِطرة السليمة، وهذا لا يكون إلَّا في دين الحقِّ، دِين الإسلام؛ لأنَّه ربانيٌّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥١٣٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٤١٩).
(٢) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (٢/ ١١٤).

المصدر، لا يأتيه الباطل ولا تبدِّله الأحوال والأيام، وبالمقابل فكلُّ مساواة مطلَقة تقود للظلم؛ فهي مساواة جائرة متطرِّفة، ولا تكون إلَّا من دِين وضعيٍّ بشريٍّ، يعتريه التغيُّر والتحوُّل، والأهواء والرغبات، فالإسلام منظومة متكاملة، لا بدَّ أن تؤخذ كاملة، بعيدًا عن التجزئة القاصرة، فهو يدعو للعدل كقيمة مطلَقة، لا المساواة المطلَقة، ولفظ (العدل) أدقُّ، وأصحُّ من لفظ (المساواة)، فالعدل هو: إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ووضْع الشيء في موضعه الصحيح[1]، أمَّا المساواة المطلَقة بين الجنسين، والتي تظهر جليَّة في كثير من الكتب المترجمة في المجال الاجتماعيِّ؛ فهي نظريَّة ظالمة، وبِدعة عصريَّة غربيَّة، خالفت النقْل والعقل، والفِطرة والعدل؛ فهي تُنكِر الفوارق الطبيعية الثابتة بين الجنسين، وتخالف نُصوص الوَحيَين، فالله -ﷻ- خلق الرجل، والمرأة شطْرين للنوع الإنسانيِّ: ذكراً، وأنثى، يقول -ﷻ-: {وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥} [سورة النجم:٤٥]، بل من دلائل هذا الاختلاف؛ أنَّ الله -ﷻ:- نهى عن مجرَّد تمنِّي أحدهما ما خصَّ الله به الآخر من فروق؛ لما في ذلك من السخْط على قدَر الله، وعدم الرضا بحُكمه وشرْعه، يقول -ﷻ: {وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢} [سورة النساء:٣٢]، وممَّا ورد في سبب نزولها؛ حديث مجاهد -رضي الله عنه-، قال: قالت أمُّ سلمة: ((يا رسول الله، تغزو الرجال، ولا نغزو، وإنَّما لنا نِصف الميراث! فنزلتْ هذه الآية))[2]، فإذا كان هذا النَّهي -بنَصِّ القرآن- عن مجرَّد التمنِّي، فكيف بمَن أنكر الفوارق بين الرجل والمرأة، وطالَب بإلغائها[3]! "فهذه بلا شكٍّ نظريَّة إلحاديَّة؛ لما فيها من منازعة لإرادة الله الكونيَّة، القدريَّة في الفوارق الخَلقيَّة والمعنويَّة بينهما، ومنابذة للإسلام في نصوصه الشرعية، القاطعة بالفرق بين الذكر والأنثى في أحكام كثيرة، كما تقدَّم بعضها، ولو حصلت المساواة في جميع الأحكام، مع الاختلاف في الخِلْقة والكفاية؛ لكان هذا انعكاسًا في الفِطرة، فهو عين الظلم للفاضل والمفضول، بل ظلم لحياة المجتمع الإنساني؛ لِما يلحقه من حرمان ثمرة قُدراتِ الفاضل، والإثقال على المفضول فوق قدرته، وحاشا أن يقع شيء من ذلك في شريعة أحْكم الحاكِمين، ولهذا كانت المرأة في ظلِّ هذه الأحكام الغرَّاء مكفولة في أمومتها، وتدبير منزلها، وتربية

(١) ينظر: نظرات في المساواة بين الجنسين، (ص:٢٦٧)، وقضايا المرأة في الفكر الليبرالي العربي المعاصر، (ص:٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٠٢٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٠٢٢)..

(٣) ينظر: حراسة الفضيلة، (ص:٢٣)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٩٤/ ٢).

الأجيال المُـــقبِلة للأمَّة"[1]، فالله –ﷻ– خلق المرأة والرجل، وجعل بينهمـــا اختلافـــات عُضويَّة ونفسيَّة وعقليَّة؛ حتى يتلاءم كلُّ جنس مع مهامِّه، ودوره فـــي الحيـــاة، ولهـــذه الاختلافات آثار تختلف في أصلها، وتفاصيلها مع ما ورد في الكتب المترجمة.

▪ **من آثار القول بالمساواة المطلَقة في النظام الاجتماعي ما يلي:**

أولًا: استبدال مصطلح (القوَامة) بمصطلح (الشراكة): لا بدَّ بدايـــة مـــن التأكيـــد على أنَّ الفرق بين مصطلح (القوامة)، ومصطلح (الشراكة) كبيرٌ وشاســـع، ســـواء فـــي مفهومه، أو آثاره، وفيما يلي بيان ذلك:

أ) مصطلح (القوَامة): القوامة مصطلح، وأصل شرعيٌّ بدلالة قولـــه –ﷻ–: {ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ} [سورة النساء:٣٤]، وجاء في تفسيرها: "أنَّ الرجال قوَّامون على النساء، بـــإلزامهنَّ بحقوق الله –ﷻ–، من المحافظة على فرائضه، وكفِّهن عـــن المفاســـد، وقوَّامـــون عليهنَّ أيضًا بالإنفاق عليهنَّ، والكِسوة والمسكَن، ثم ذكـــر الـــسبب الموجـــب لقيـــام الرجال على النساء، فقال: {بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ} [سورة النساء:٣٤] أي: بسبب فضْل الرجال علـــى النـــساء، وأفـــضالهم عليهنَّ، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعدِّدة: من كَون الولايات مختـــصَّة بالرجال، والنبوَّة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات: كالجِهاد، والأعيـــاد، والجُمع، وبما خصَّهم الله به من العقل، والرزانة، والصبر، والجلَد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصَّهم بالنفقات على الزوجات، بل وكثير من النفقـــات يخـــتصُّ بهـــا الرجال، ويتميَّزون عن النساء، ولعلَّ هذا سِـــرُّ قولـــه: {وَبِمَآ أَنفَقُواْ}، وحـــذف المفعول؛ ليدلَّ على عموم النفَقة"[2]، وممَّا تجدر الإشارة إليه؛ أنَّ الـــشارع الحكـــيم لـــمَّا جعل القوَامة بيد الرجل؛ لم يجعل ذلك مُطلقًا، يستغلُّه الرجل في إذلال المـــرأة، والتحكُّم بها وِفق هَوَاه، بل قيَّد ذلك بضوابط تحفظ لها حقَّها، ومكانتها، فألزَمه بكافَّة الالتزامات الماليَّة من المهْر، والنفقة الكاملة على زوجته، وأبنائه، يقـــول الله –ﷻ–: {وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ} [سورة البقرة:٢٣٣].

ب) مصطلح (الشراكة): يُقصد به الشراكة بين الزوجين، ويكثـــر ذِكـــره فـــي الكتـــب المترجمة، بل إنَّها استبدلت مصطلح (الزوجين) بمصطلح (الشريكين) في كثير مـــن

(١) حراسة الفضيلة، (ص:٢٥).

(٢) تفسير السعدي، (ص: ١٧٧).

الكتب، ويُراد بالشركة: المساواة المطلَقة في الحقوق والواجبات، وِفقًا للمفهوم الجندري، الذي يعتبر الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة صفات مركَّبة اجتماعيَّة، لا علاقة لها بالاختلافات العضويَّة، بمعنى: يُعنَى بالقضاء على الأدوار النمطيَّة للرجل والمرأة في مؤسسة الزواج، وعليه فالأسرة -بهذا المفهوم- تقوم على قُطْبَي شريكَين متساويَين في المكانة والقرار، ويقوم على أمرين أساسيَّين، وهما/ الأول: الإنهاء الكامل للتفاضُل بين الزوجين: فتحقيق مفهوم الشراكة، والمساواة التامة بين الزوجين يترتَّب عليه إلغاء أيِّ تميُّز، أو تفاضُل بينهما، وبذلك تُلغَى أحكام القَوامة، والوِلاية، ووجوب الطاعة، والنفقة، والتفاضُل في الميراث، والثاني: إقرار المساواة في الحقوق، والواجبات: فانتفاء التفاضل بين الجنسين يستلزِم المساواة الكاملة في الحقوق، والواجبات بينهما، ويترتَّب على ذلك إلغاء أحكام الطاعة الواجبة على الزوجة لزوجها، وإلغاء أحكام النفقة الواجبة، الملزمة على الزوج لزوجته، ومن هنا تمَّ اعتبار الأُمومة وظيفة اجتماعية، لا تقتصر على الأمِّ، بل يمكن للأب أن يمارسها على السواء، وأُلغيَ مصطلح (ربّ الأسرة) الذي يقوم على اختصاص الرجل بالعمل، والإنفاق على أسرته؛ ليكون العمل والإنفاق واجبًا على الزوجين على السواء، واعتبار هذه الأدوار الفطريَّة من الأمور التقليديَّة القديمة التي تحتاج إلى تغيير وتطوير؛ لتكون إدارة شؤون الأسرة بكلِّ تفاصيلها مهمَّة مشتركة بالتساوي بين الرجل والمرأة[1]، وبذلك تتَّضح خطورة اللعِب في المصطلحات، وما يترتَّب عليها من آثار دينيَّة، وثقافيَّة، واجتماعيَّة.

المطلب الثاني: نِسبيَّة المعرفة

إنَّ من أهمِّ الركائز التي تعتمد عليها الكتب المترجمة في النظام الاجتماعي؛ القول بنِسبيَّة المعرفة، وقبول التلوُّن، والتعدُّد في الآراء والمعتقدات، فترى أن الفهْم البشريَّ للمعتقدات، والمبادئ والأفكار، والقِيم قائم على حالة من التحوُّل المستمر، فليس له وُثوقيَّة عالميَّة سرمديَّة، بل يعتمد في صحَّته على الأفراد الذين يؤمنون به، فكلُّ الآراء برأيها صحيحة، شرعيَّة، متساوية، وأنَّ هذه التعدُّديَّة في الآراء، والأفكار ظاهرة إيجابيَّة، تُنمِّي الفكر، وتقوِّي الرأي، وتُظهِر الإبداع، وعليه فمقياس صحَّة السلوك، وما ينتج عنه عائد إلى رؤية الفرد ومعتقَده، فما هو حقٌّ وعدْل في عين شخص ربَّما لا يكون حقًّا وعدلًا في عين شخص آخر، وهذا مخالِف لرؤية الثقافة الإسلامية.

(١) ينظر: معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، (ص:٢٥٢).

▪ **عندما يُنظر للأمر من منظور الثقافة الإسلامية، فيرِد عليه من عدَّة جوانب:**

أولًا: أنَّ الإنسان بلا شكٍّ لا يستطيع بعقله أن يدرك جميع الأشياء إدراكًا شاملًا، كاملًا، وإنَّما يدرِك قدْرًا من المعارف التي تكفيه لأداء مهامِّه في الحياة، ولكنَّ القول بأن الإنسان لا يصِل إلى الحقيقة أبدًا، وكلَّ ما عنده من حقائق لا يمكن القطْع، والجزْم بها، ولا الاتِّفاق حولها! وأنها حقٌّ عند مَن هي عنده حقٌّ، وباطِل عند مَن هي عنده باطِل، فمردود عقلًا، وأوَّل ما يرُد هذا القول: "أنْ يُسأل مَن قال: هي حقٌّ عند مَن هي عنده حقٌّ وهي باطِل عند مَن هي عنده باطِل: إنَّ الشيء لا يكون حقًّا باعتقاد مَن اعتقد أنه حقٌّ، كما أنه لا يبطُل باعتقاد مَن اعتقد أنه باطِل، وإنَّما يكون الشيء حقًّا بكَونه موجودًا ثابتًا، سواء اعتقد أنَّه حقٌّ، أو اعتقد أنَّه باطل، ولو كان غير هذا؛ لكان معدومًا موجودًا في حال واحد في ذاته، وهذا عين المُحال، وإذا أقرُّوا بأنَّ الأشياء حقٌّ عند مَن هي عنده حقٌّ؛ فمِن جُملة تلك الأشياء التي يُعتقَد أنها حقٌّ عند مَن يعتقد أنَّ الأشياء حقٌّ: بُطلان قول مَن قال: إنَّ الحقائق باطِلة، وهم قد أقرُّوا بأنَّ الأشياء حقٌّ عند مَن هي عنده حقٌّ، وبُطلان قولهم مِن جُملة تلك الأشياء، فقد أقرُّوا بأنَّ بُطلان قولهم حقٌّ! مع أنَّ هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدَها ذو عقل البتَّة؛ إذْ حِسُّه يشهد بخِلافِها"[1]، بمعنى: إذا كانت الحقيقة نِسبيَّة؛ فإنَّ عبارة: كلُّ حقيقة نِسبيَّة؛ تُعتبَر عبارة مطلَقة، والنسبيَّة ترفض المطلَق، فالعبارة متناقِضة في ذاتها، وعليه فإنَّ مبدأ :كلُّ حقيقة نِسبيَّة؛ باطل.

ثانيًا: لا يمكن لأيِّ مجتمع أن يعيش بلا حقائق مطلَقة، مشترَكة بين أفراد، فبدون الحقيقة المطلَقة سينشأ الصراع، ويتولَّد النزاع، وتتصادم الآراء، ويحدُث الشرْخ الاجتماعيُّ، وبالتالي سقوط المجتمع أو ضعْفه على أقلِّ الأحوال، إضافة إلى أنَّه لو لم تكن هناك حقائق مطلَقة؛ لكان أمر الله –ﷻ– بلزوم الحقِّ واتِّباعه، في قوله –ﷻ:{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} [سورة الأنعام:١٥٣] عبثًا، لا معنى له –تعالى الله عن ذلك–؛ لأنه –على ضوء هذا المبدأ– حقٌّ نسبيٌّ، يصحُّ أن يكون حقًّا في عقل، وباطلًا في عقل آخر!، ولابد من الإشارة –كذلك– إلى ضرورة التفريق والتمييز في المعارف بين العادات والسلوكيَّات الاجتماعية المكتسَبة، التي قد يَحدث تنوُّعًا في تقييم بعضها وكيفيَّة التعامل معها، وبين القِيم والأحكام التي وردت فيها نصوص شرعية؛ لأنَّ التداخل بينهما يسبِّب خلْطًا في المفهوم، ومن ثم القبول، فبالنظر للعادات والسلوكيَّات الاجتماعية؛ فإنَّها غالبًا ما تكون متنوِّعة

(١) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، (١٤/١).

بين البشَر[1]، ومكتسَبة من المجتمعات، ومتغيِّرة بحسب ظروف الزمان والمكان، وهذا الاختلاف سُنَّة من سُنن الله -ﷻ- في خلْقه، ولذلك شواهد عِدَّة، منها: أنَّ تنوَّع البشَر أساس في الخليقة، يقول -ﷻ-: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣} [سورة الحجرات:١٣]، وكذلك التنوُّع بين البشَر جزء من غاية، وهدف دينيٍّ في الخلْق، يقول الله -ﷻ-: {وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ} [سورة هود:١١٨]، وعليه فما لا يتعلَّق بالقيم، والأحكام التي وردت فيها نصوص شرعية؛ فيمكن التسامح فيه، ومراعاة تنوُّع الفروق والطِّباع، ومن دلائل ذلك عموم حديث أنس بن مالك -ﷺ- حين قال: ((خدمتُ النبيَّ -ﷺ- عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانَيتُ عنه، أو ضيَّعتُه فلامَني، فإنْ لامَني أحدٌ من أهل بيته إلَّا قال: دَعُوه، فلو قُدِّر، أو قال: لو قُضِي أن يكون كان))[2]، أمَّا ماورد فيه نصٌّ؛ فالحقُّ فيه واضح، والمعرفة فيه محدَّدة ،وثابتة.

ولذلك شواهد عِدَّة في السيرة النبويَّة، تبيِّن كيفيَّة تعامُل النبيِّ -ﷺ- في الأمور المرتبطة بحُكم الشرْع، ورضى الربِّ، رغم تساهُله، وتسامحُه فيما يتعلَّق بحقِّ نفسه -ﷺ-، ومنها:

أولًا: إنكار النبيِّ -ﷺ- على أمِّ المؤمنين حفصة فِعلَتها مع أمِّ المؤمنين صفية -رضي الله عنها-، ففي حديث أنس -ﷺ- قال: ((بلَغ صفية أنَّ حفصة قالت: بنت يهوديٍّ، فبكتْ، فدخل عليها النبيُّ -ﷺ- وهي تبكي، فقال: ما يُبكيكِ؟ فقالتْ: قالتْ لي حفصة: إنِّي بنت يهوديٍّ، فقال النبيُّ -ﷺ-: إنَّك لابْنة نبيٍّ، وإنَّ عمَّك لنبيٌّ، وإنَّك لتحتَ نبيٍّ، ففِيمَ تفخر عليكِ! ثم قال: اتَّقي الله يا حفصة))[3].

ثانيًا: تعليمه -ﷺ- للحسَن بن عليٍّ بأنَّ الأنبياء وآل بيت النبوُّة لا يجوز لهم أن يأكلوا من تمْر الصدقة، وتصحيحه خطئه مباشرة، فعن أبي هريرة -ﷺ- قال: أخذ الحسن بن عليٍّ -رضي الله عنهما- تمْرة من تمْر الصدقة؛ فجعلها في فيه، فقال النبيُّ -ﷺ-: ((كخ كخ))؛ ليطرحَها، ثم قال: ((أمَا شعرت أنَّا لا نأكل الصدقة)) [4].

(١) الغالب وليس الكل؛ لأن بعضها يكون مبنيًّا على القيم، أو الفطرة السليمة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٦٠٣٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم الحديث: (٣٨٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (١٤١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٠٦٩).

ثالثًا: توجيه النبيِّ -ﷺ- للغلام في طريقة أكْله، رغم صِغر سِنِّه، فعمر بن أبي سلمى يقول: كنتُ غلامًا في حِجر رسول الله -ﷺ-، وكانت يدي تطيش في الصُّحفة، فقال لي رسول الله -ﷺ-: ((ياغلام، سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك))[1].

▪ **آثار القول بالنِّسبيَّة في النظام الاجتماعي:**

أولًا: هزُّ الثوابت، والتشكيك في المُسلّمات، والتحرُّر من القِيم، والتحوُّل إلى الفوضى الأخلاقيَّة، تحت مظلَّة النِّسبيَّة التي تسمح للإنسان بأن يتبنَّى الثقافات، والأخلاقيات، والمبادئ، والمعتقَدات التي يريدها، ومن المعلوم أن إنكار الأخلاقيات المطلَقة هو إنكار للقِيم الإيمانيَّة التي تقرِّر أصول الأخلاق التي يجب أن يتحلَّى بها الإنسان؛ والسبب لكلِّ هذا ببساطة؛ هو عدم وجود أسس سليمة وقِيم ثابتة شاملة لجميع البشر، بها يُقوَّم السلوك وتُضبط الأحكام والمجتمعات، بل لكلِّ فرد خبراته الشخصيَّة المشرِّعة له، والتي من خلالها تنطلق قراراته، وكامل تصرفاته.

ثانيًا: فقدان قيمة الألفاظ، ودلالاتها في ظلِّ النِّسبيَّة، فلا معنى للفظ الصواب والخطأ، والواجب والمحرَّم، والخير والشر، والحقُّ والواجب، وغياب هذه القيم غيابٌ للوسائل المُعِينة على التقدُّم والارتقاء، والتعلُّم والاجتهاد، وهذا مخالِف للمنهج الربانيِّ الذي يأمر باتِّباع الله -ﷻ- ورسوله -ﷺ- في كافَّة مناهج الحياة، يقول -ﷻ-: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ } [سورة الأحزاب:٣٦].

ثالثًا: تزعزُع الأهداف الرئيسية من الحياة الأسرية، فباستقراء الكتب المترجمة يُلاحظ التناقض، والاختلاف في كثير من الأفكار والآراء، بل إنَّ مفهوم عقْد الزواج متزعزع بشكل واضح فيها، والسبب يعود لعدم وجود المرجعيَّة الواضحة، والثابتة في القِيم، ومن شواهد هذا التزعزع ما جاء في أحد الكتب قول: "عقد الزواج دليل تطوُّعي، وليس وثيقة قانونيَّة، فإذا كانت هناك مسائل ترغب، أو تحتاج إلى أن تجعلها ملزِمة قانونيًّا؛ فعليك أن تستعين بمحامٍ؛ ليوثِّق هذه الأمور قبل أن تتزوجا"[2]، وقال في موضع آخر: "الزواج لُعبة! الغرض منها الفوز أيًّا كان، وليس هناك قواعد، وعلى كلِّ فريق اكتشاف القواعد غير المكتوبة مع تقدُّم اللُّعبة، وليس هناك وصف لموقع كلِّ لاعب، وليس هناك حكَم للتأكُّد من النزاهة"[3].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٥٣٧٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٢٠٢٢).

(٢) كيف تدار الحياة الزوجية ببراعة، (ص:١٩٠).

(٣) المرجع السابق، (ص: ١٣٦).

أمَّا عند النظر لقداسة الزواج، والأسرة في ضوء الثقافة الإسلامية؛ فالأمر مختلف تمامًا، فهي تقوم على أساس التراحُم المبنيِّ على الإيمانِ بالدين، وعن هذا الإيمان ينبثق الالتزام بتشريعات وقوانين الأسرة، وفي مقابل الحقِّ الفرديِّ في المفهوم الغربيِّ يأتي الواجب الدينيُّ، وفي مقابل الحريَّة المنفَلِتة من أيِّ ضابط تأتي المسؤولية الأخلاقية، وبينما يتمُّ إشباع اللذَّة بالممارسة الحرَّة بوَصْفها حقًّا مدعومًا بالحريَّة في الرؤية الغربيَّة؛ يكون إشباع اللذَّة في الرؤية الإسلامية بالزواج فقط وبتحمُّل مسؤولية المساهمة في بناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح، وفي حين تشكِّل اللذَّة الجنسيَّة نمط حياة الغربيِّ؛ يتمُّ دمْج النشاط الجنسيِّ في حياة المسلم باعتباره شكلًا من أشكال العبادة[1]، ففي الحديث يقول -ﷺ-: ((وفي بِضْع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال؛ كان له أجر)) [2].

(١) ينظر: التطرُّف المسكوت عنه "أصول الفكر العصراني المعاصر"، (ص:١٥٨-١٥٩)، وحرب المصطلحات، (ص:٢٠٢).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ، رقم الحديث: (١٠٠٦).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجْهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي يسَّر إتمام هذا البحث، وأسأله -ﷻ:- القبول والبركة، والنفع به، وفي الختام فقد خلُص البحث إلى عدد من النتائج العلميَّة، والتوصيات المقترَحة، وبيانها كالتالي:

أولًا: أبرز النتائج العلميَّة:

١) تحرص الكتب المترجمة في مُجملها -بشكل كبير- على جذْب انتباه القارئ، بدايةً من مقدِّمة الكتاب، التي تُعدُّ أشْبه بحِوار مفتوح، متواضِع مع القارئ، يُبيِّن من خلالها المؤلِّف أهداف كتابِه، والتي غالبًا ما تكون لتلبية شدَّة حاجته لهذه المعلومات، وإشباع حيرَته الماضية، وتؤكِّد بطريقة مباشرة، وغير مباشرة أنَّ هذه احتياجات القارئ كذلك، وسيُلبِّيها له الكتاب.

٢) تَملك الكتب المترجمة في مُجملها قدرة هائلة على الإقناع بمُحتواها، سواء من خلال جعْل القارئ يُعايش كلَّ تفاصيل الكتاب، بمخاطبته بأسلوب شائق وسهل، أو بالاستشهاد بالأمثلة الواقعيَّة، أو بالنقْد الخفيِّ لأفكار الآخرين، سواء كانت مذاهب أو آراء، أو كتبًا أخرى بذات المجال؛ لتعزيز مزايا الكتاب -من قِبل صاحبه-.

٣) يُلاحظ أنَّ الكتب المترجمة في مُجملها، وباختلاف منهجيَّاتها تعتمد على التجرِبة والمعايشة، والخِبرة، سواء كانت تجربة المؤلِّف نفسه، أو تجربة أشخاص آخرين، ومن ذلك يُلاحظ -في كثير من الكتب- التشاركيَّة في التأليف، سواء كانت بين الزوجين كما في بعض الكتب في النظام الاجتماعيِّ، أو بين الأصدقاء كما في بعض الكتب في النظام الإداري، إلى غير ذلك.

٤) من أبرز عُيوب الكتب المترجمة تزعزُع الآراء وتغيُّرها، وتعارُضها، سواء بين الكتب والمؤلِّفين، أو بين كُتب المؤلِّف نفسه، أو حتى في الكتاب الواحد، والعجيب أنَّ كثيرًا من المؤلِّفين صرَّحوا بهذا التزعزعُ، وعلَّلوه بتطوُّر العِلم، وتغيُّر الأزمان والأحوال، واستحالة بقاء الأفكار والقناعات كما هي -حتى في الأُسس، والأصول، وإن كان السبب الحقيقيُّ وراء هذا التزعزُع هو الافتقار لوجود مرجعيَّة دينيَّة واضحة، تنظِّم أمر الدِّين والدنيا.

٥) طُغيان التفكير الماديِّ على مُجمل الكتب المترجمة، بل وعلى حياة الإنسان بأكملها، والذي بدوره يُعدُّ مُدمِّرًا خطيرًا، ومُعارِضًا شرِسًا لكلِّ معاني الإنسانيَّة، والقِيم المجتمعيَّة، القائمة على التكافُل، والرِّفْق بين أفراد المجتمع الواحد.

٦) الثقافة الإسلاميَّة تفوَّقت على الكتب المترجمة بكلِّ المعايير، حتى فيما وافقتْها فيه! فيُلاحظ تميُّز الثقافة الإسلاميَّة بالشموليَّة، والسبْق، وإكمال المصالح، وتحقيقها.

٧) من أهمِّ الأُسس التي يقوم عليها النظام الاجتماعيُّ في الكتب المترجمة: الفرديَّة، والمساواة، والتسامح، والتواصُل اللفظيُّ.

٨) من أهمِّ الأسس التي وافقت فيها الكتبُ المترجمة الثقافةَ الإسلامية في النظام الاجتماعيِّ: التواصُل الأسريُّ، والعناية بالقدوة، وإن كانت الثقافة الإسلاميَّة أسْبق في ذلك، وأشمل.

٩) من أهمِّ الأسس التي خالفت فيها الكتبُ المترجمة الثقافةَ الإسلامية في النظام الاجتماعيِّ: المساواة المطلَقة، ونِسبيَّة المعرفة.

١٠) مفهوم الأُسرة في الكتب المترجمة قائم على التقاسُم، والتناصُف التامِّ لجميع المهامِّ بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، ولذلك يُلاحظ في أغلب الكتب المترجمة المختصَّة بالنظام الاجتماعيِّ استبدال مصطلح (الزوج، والزوجة) بمصطلح (الشريك)، واستبدال مصطلح (الزواج) بمصطلح (الشراكة)؛ للتعبير عن نوعيَّة العلاقة بين الزوجين.

١١) تسعى الكتب المترجمة في مُجملها إلى تعديل الأنماط الاجتماعيَّة والثقافيَّة لسلوك الرجل والمرأة، القائمة على الأدوار النمطيَّة لهما، ومن ذلك النظر للأمومة بأنَّها وظيفة اجتماعيَّة، غير مرتبطة بالجِنْس، وأنَّها وظيفة مُحايدة لا تقتصر على الأمِّ، وليس لها أيُّ علاقة بالفِطرة، أو طبيعة خلْق المرأة، وتكوينها، وإنما جاء إلصاقها بالمرأة بِفعْل التنشئة، والثقافة المجتمعيَّة فحسب.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

١) متابعة رصْد الكتب والأعمال المترجمة إلى اللغة العربية في المملكة، وتحليل محتواها، ونقْدها في ضوء الثقافة الإسلاميَّة.

٢) دعْم مراكز الترجمة بالباحثين في عِلم الثقافة الإسلاميَّة، والعلوم الشرعيَّة؛ لتمحيص الكتب قبل نشْرها.

٣) تدوين العلوم الإسلاميَّة بطريقة تطبيقيَّة عمليَّة، خصوصًا فيما يتعلَّق بالثقافة الإسلاميَّة، وقِيَمها.

٤) إعداد الدراسات، والبحوث في الموضوعات التالية:

- التلاعُب بالمصطلحات، وأثره على عقيدة المسلم وثقافته.
- مفهوم القوَّة الناعمة، وآثارها الثقافيَّة، دراسة مقارِنة بين الثقافة الإسلاميَّة، والثقافة الغربيَّة.

٥) تنشئة جِيل الشباب على مهارات القراءة التحليليَّة، الناقِدة، ومهارات الكتابة، والتعبير.

ختامًا: أسأل الله الكريم أن أكون قد وُفِّقتُ في طرْح هذا الموضوع، وحسْبي أنِّي بذلتُ أقصى الجهد والسعي لاستيفائه ما استطعتُ لذلك سبيلًا، فإن وُفِّقتُ فيه وسُدِّدتُ؛ فهو فضْل وكرم من الله –ﷻ– وحْده، وأسأله برحمته أن يُسدِّد ما فيه مِن نقْص، ويجْبُر ما فيه من خَلَل.